حاضرة صبيا

في بعض البحوث الطلابية

(دراسة تاريخية حضارية حديثة) (*)

إعداد : أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : منطقة جازان: دراسات، وإضافات، وتعليقات (ق ١٤ـ ق ١٥هـ / ق ٢٠ـ ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١م)، (الجزء الثاني)، ص ص ٣٣٧ ـ ٤٠٣ .

١٩

الدراسة التاسعة عشرة

حاضرة صبيا في بعض البحوث الطلابية
(دراسة تاريخية حضارية حديثة)

بأقلام مجموعة من طلاب : أ. د . غيثان بن علي بن جريس

الدراسة التاسعة عشرة

حاضرة صبيا في بعض البحوث الطلابية
(دراسة تاريخية حضارية حديثة)

بأقلام مجموعة من طلاب ، أ. د . غيثان بن علي بن جريس

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل	٣٣٩
ثانيا :	صفحات من تاريخ صبيا الاقتصادي خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) . بقلم . أ. ربيع مهدي علي عطية	٣٤٢
ثالثاً :	صورة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حاضرة صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . بقلم. أ.خالد عبدالله عبده عقيلي وآخرين	٣٦٨
رابعاً :	آراء وتعليقات وتوصيات	٣٩٩

أولاً : مدخل:

حرصت منذ أربعين عاماً على جمع تاريخ وحضارة وتراث بلاد تهامة والسراة، وسلكت طرقاً عديدة لتحقيق هذا الهدف[١]. وكان طلابي في المرحلة الجامعية وبرامج الدراسات العليا ممن لهم فضل في جمع وحفظ شيء من تراث هذه البلاد، وذلك عندما كنت أكلفهم بإنجاز بحوث تخرجهم عن أوطانهم وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر[٢]. وقد توفر لدينا حتى الآن حوالي (٤٢٠) بحثاً جميعها عن تاريخ وتراث

(١) من الطرق التي اتبعتها في جمع بعض تراث بلاد تهامة والسراة (١) الترحال والسير في أرجائها بهدف جمع وثائقها المحلية، والسماع من الرواة وكبار السن فيها . (٢) تصوير بعض المعالم الجغرافية مثل أسواقها الأسبوعية، وقراها القديمة، وحصونها وقلاعها، وآبارها، وسدودها، وشيء من النقوش والرسومات الصخرية المتناثرة في جبالها ووهادها . (٣) الحصول على بعض المذكرات والمدونات أو المخطوطات الموجودة عند بعض البيوتات العلمية، أو عند أشخاص لهم اهتمامات علمية وثقافية . (٤) الوقوف على بعض آثارها المادية السطحية، وجمع بعض الأدوات الأثرية التي كانت تستخدم في العديد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. (ابن جريس).

(٢) بدأت في الإشراف والتوجيه والمراجعة لهؤلاء الطلاب وبحوثهم منذ أصبحت رئيساً لقسم التاريخ في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ومضيت على هذا النهج إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ومن ثم توفر لدينا أكثر من (٤٠٠) بحث جميعها

وأدب وحضارة وفكر بلاد تهامة والسراة، ومعظمها في العصر الحديث، ولا تخلو هذه البحوث من مادة علمية جديدة بالإضافة إلى وثائق تاريخية وصور فوتوغرافية لم يسبق نشرها من قبل. وقد يأتي اليوم الذي أحول جميع هذه الدراسات إلى نظام رقمي وأنشرها على الإنترنت حتى تعم فائدتها على الباحثين وطلاب العلم [١].

وفي هذا السفر بدأت بنشر بعض الدراسات الطلابية عن حاضرة صبيا وقد عثرت في مكتبتي على عشرة أبحاث عن بلاد صبيا في العصر الحديث، بعضها من إعداد طالب واحد وأخرى أعدها عدد من الطلاب، ويصل عددهم أحياناً في الدراسة الواحدة إلى خمسة أو ستة طلاب [٢]. وتم اختيار بحثين تم إنجازهما في الفترة الممتدة من (١٤١٣-١٤١٩هـ/١٩٩٣-١٩٩٩م) وهاتان الدراستان تدرسان جوانب اقتصادية واجتماعية في منطقة صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) [٣].

وسبب اختياري منطقة صبيا عنواناً رئيسياً لهذا القسم يعود إلى عدة أسباب: **(١)** إن حاضرة صبيا جزء مهم ورئيسي من منطقة جازان، فهي المدينة الثانية بعد مدينة جازان، ولها ذكر في كتب التراث الإسلامي، وجرى على أرضها حوادث سياسية وحربية وحضارية عبر أطوار التاريخ الإسلامي، وتوسطها منطقة جازان، وتنوع تركيبتها الجغرافية والسكانية، يستحق الكثير من الدراسات العلمية الموثقة[٤].

عن موضوعات تاريخية وحضارية لبلدان السروات وتهامة، وهي موجودة في مكتبتي (مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية)، وقد فهرسها الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبِّر في كتاب بعنوان: دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (ببليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، (٥٥٠صفحة). والكتاب موجود رقمياً في موقعنا الإليكتروني (Prof-ghithan.com). (ابن جريس).

(١) هذا ما آمله وأتطلع إليه في المستقبل القريب، لكنها تحتاج إلى جهود فكرية وجسدية ومالية كبيرة، ونسأل الله أن يساعدني حتى أتمكن من فعل ذلك. (ابن جريس).

(٢) كل البحوث المنشورة في هذا الكتاب جُمعت ودرست من أصحابها الطلاب قبل عشرين عاماً. وكان الأولى أن أورد ترجمة مختصرة لكل واحد منهم، لكن وجدت صعوبة في الاتصال بهم، وهذه سلبية، فأرجو المعذرة منهم ومن القارئ الكريم. (ابن جريس).

(٣) للمزيد عن عناوين هذه البحوث وأسماء الطلاب الذين أنجزوها، انظر تفصيلات أكثر في صفحات تالية من هذا المبحث. مع أنني لم أدون سيرهم الذاتية، لأنني لا أعلم مصيرهم وأماكنهم حالياً، إلا أنهم ربما يعملون في قطاع التعليم، وجميعهم من منطقة جازان. وقد أجريت على هذه البحوث حذفا وإضافة وتعديلات، ثم حفظت حقوقهم العلمية، فنشرتها تحت أسمائهم. (ابن جريس).

(٤) لا نجد دراسات علمية تاريخية توثيقية لبلاد صبيا منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وإن ورد ذكرها في بعض الكتب والرسائل العلمية في العصر الحديث (ق١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م)، فذلك محدود وناقص. واقول إن هذه الحاضرة تستحق أن تدرس دراسة توثيقية تحليلية في عدد من الكتب والبحوث العلمية. (ابن جريس).

(٢) نشري هذين البحثين لخمسة طلاب أنجزوها أثناء دراستهم في السنة الرابعة من مرحلة البكالوريوس يعني حفظ حقوقهم العلمية، مع أن هذه الدراسات يشوبها الكثير من النقص، لكنها لا تخلو من مواد علمية جديدة تعكس صفحات من تاريخ هذه البلاد في العصر الحديث، ونشرها في كتاب علمي قد يشجع أولئك الطلاب (أصحابها) على دراسة بلادهم وسكانها مع مراعاة الدقة والرصانة والجودة العلمية، وأرجو ذلك. أو ربما تلفت أنظار باحثين ومؤرخين آخرين فيعيدوا النظر فيما كتب أولئك الطلاب ونشرناه . فيصوبوا الأخطاء، أو يستكملوا الناقص، أو يدرسوا موضوعات جديدة تصب في خدمة أرض وسكان مخلاف صبيا وما حولها [١].

هذه البداية مع مخلاف (حاضرة صبيا) ، وقد يكون لي عودة أخرى في دراسات جديدة مع هذه الناحية، ومازال هناك حواضر وموضوعات كثيرة سوف ندرسها وننشرها عن منطقة جازان وغيرها من مناطق الجنوب السعودي . وجميعها موجودة في مكتبتي، وهي من جمع وإعداد عشرات الأبناء من طالباتي وطلابي في برامج البكالوريوس والماجستير والدكتوراه . ولست إلا خادماً للعلم أنشر كل جديد عن تاريخ وحضارة وفكر أهلنا وبلادنا، جنوب المملكة العربية السعودية [٢]، أو ما يعرف باسم (بلاد تهامة والسراة) ، وأسأل الله أن يسخرنا لذلك، وأن يجعلنا أعضاء صالحين في خدمة أهلنا وأوطاننا .

(١) هذا ما أرجوه وأتطلع إليه من بناتنا وأبنائنا العاملين في سلك التعليم أو الدارسين في برامج الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) ، فالواجب علينا جميعاً التعاون والعمل بجد واجتهاد في كل ما يخدم ديننا وبلادنا وموروثنا الحضاري . (ابن جريس) .

(٢) هناك عشرات البحوث من إعداد طالباتي وطلابي، والكثير منها جيدة إلى حد ما، ويوجد فيها معلومات ووثائق وصور فوتوغرافية جديدة، وتعكس صفحات جيدة من تاريخ وحضارة تهامة والسراة عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

ثانياً: صفحات من تاريخ صبيا الاقتصادي خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).
بقلم . أ. ربيع مهدي علي عطية [١].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	الجمع والالتقاط، والرعي، والصيد	٣٤٢
ثانياً:	الزراعة	٣٤٦
ثالثاً:	الصناعات التقليدية	٣٥٦
رابعاً:	التجارة	٣٦٠
خامساً:	بعض المعوقات الاقتصادية	٣٦٦

أولاً: الجمع والالتقاط، والرعي، والصيد:

كانت مهنة الجمع والالتقاط في منطقة صبيا، خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) مقصورة على الأشياء الضرورية، مثل: جمع الثمار من الأشجار. ومنطقة صبيا تشتهر بشجر السدر، والناس يجمعون ثمار هذا الشجر، المعروف باسم **(الكين)** أو **(النبق)**. وهو يؤكل، والفائض يتم بيعه في الأسواق الأسبوعية، واشتهرت مجموعة من الناس بهذه المهنة ثم توارثها أبناؤهم من بعدهم . وعملية الجمع تتم في موسم معين هو موسم الخريف، فيقوم الناس بحماية أراضيهم التي يوجد بها شجر السدر ويحيطونها بالأشواك لحمايتها من الحيوانات وغيرها، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المهنة تقل شيئاً فشيئاً إلا أنها لم تندثر تماماً فلا يزال لها عشاقها وبخاصة كبار السن من الرجال أو النساء لأنها تمثل مصدراً جيداً للرزق، وفي كل قرية يوجد شخص أو أكثر يشترون عدة أكياس من الناس ثم يجمعونها ويسافرون بها إلى بقية مدن ومناطق المملكة لبيعها بأسعار عالية .

وشجرة الأراك المعروفة باسم **(الرديف)**، ذات فائدة كبيرة من ناحية الجذور أو الثمار، فالجذور يستخرج منها عيدان السواك، أما ثمارها فتسمى بـ **(الكباث)** وهي مادة لذيذة الطعم فيها نوع من الحرارة وتكثر هذه الثمار في فصل الصيف، غير أن

---

(١) الأستاذ ربيع من أبنائي الطلاب في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود في أبها خلال السنوات الأولى من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . وهو من الطلاب الجيدين ويعمل في مهنة التعليم في محافظة صبيا منذ ربع قرن، وحسب علمي فهو اليوم يشغل وظيفة مساعد الشؤون المدرسية في إدارة تعليم صبيا . (ابن جريس) .

جمع والتقاط هذه الثمار لا يتم بطريقة عادية كغيرها، لأنها هشة ولا تتحمل الضغط، لهذا فهناك أوانٍ خاصة للكباث تختص بصناعتها فئة من الناس [١]. ومازالت تمارس حتى وقتنا الحاضر. ومن الأشياء التي يتم التقاطها نبات (**الغلف**) ونبات (**الحلص**)، وهما نوعان متشابهان، ولا يبذل الإنسان أي جهد في زراعتهما لأنهما ينبتان تلقائياً بعد سقوط الأمطار، ويستعملان للأكل بعد غسلهما وطبخهما، ومن أسماء هذا النبات أيضاً (الحدل)[٢]. **والشَّدَخ**: بفتح الشين المعجمة المثقلة وفتح الدال المهملة ثم خاء معجمة نوع من البقول له أوراق خضراء لوزية الشكل في حجم ورقة الريحان ولا يطول أكثر من الملوخية وإذا كانت الأرض ريانة تلونت أوراقه فيكون ظاهرها أخضر وقفاه أحمر [٣]. وهو ينبت تلقائياً بعد سقوط الأمطار ولا يتدخل الإنسان في زراعته ويتم قطفه وطبخه ويمثل وجبة لذيذة عند أهل المنطقة في السابق، أما الآن فلم يعد يستعمل، وصار وجوده الآن قليلاً، ويعطى أحياناً علفاً للحيوانات، إذ يعتبر وجبة لذيذة لها، ويستعمله أيضاً عدد قليل من أهل البادية .

العسفقان : بضم العين وفتح الفاء والقاف فألف ثم نون، وهو نبتة ترتفع إلى قدر نصف متر، وأوراقها كأوراق الفول السوداني، وهي من أنواع البقول تؤكل مطبوخة وتسمى أيضاً عوفقان. **والخساء:** بكسر الخاء المهملة وسكون السين المهملة أيضاً فألف مقصورة، شجيرة متسلقة لها أصل درني (كالفجل) حلو الطعم يأكله الإنسان والحيوان . **والجلف:** بكسر الجيم وسكون اللام ثم فاء نوع من الحشائش وهو نبات دقيق ترعاه الأغنام ويستفاد منه . **الجوج :** بضم الجيم الأولى، شجيرة شوكية لها زهر أبيض وثمر كالليمون من الحجم تؤكل في بعض الأوقات لمن يرغبها، وتوجد في القسم الجبلي من منطقة صبيا . **والعرفط :** بضم العين المهملة . شجر ينبت في القسم الجبلي من المنطقة وهو مشهور في كتب اللغة . وكانت أخشابه تستعمل في عمليات البناء وصنع الكراسي، أما الآن فلا .

---

(١) لقد تجولت في محافظة صبيا بل عموم منطقة جازان في العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) وشاهدت ثمار الكباث والنبق وغيرها من ثمار الأشجار البرية تباع في أسواق صبيا ومدن جازان الأخرى . (ابن جريس).

(٢) مقابلة مع الراعي أحمد خليل أحمد (راعي أغنام) في قرية الباحر إحدى قرى منطقة صبيا في (١٤١٣/٥/٢٥هـ) (ربيع).

(٣) محمد أحمد العقيلي، المعجم النباتي، بتصرف . (ربيع) .

كانت بعض الأشجار يستفاد من فروعها في البناء أو صنع الأشياء الخاصة بأهل المنطقة، وكانت على قدر كبير من الأهمية، لكن أهميتها ما لبثت أن تلاشت شيئاً فشيئاً إلى أن انقرض الكثير منها، وهناك أخشاب كبيرة تستخدم في هياكل المنازل الرئيسية، ولتغطية تلك المباني تستخدم أنواع أخرى من النباتات نذكر منها على سبيل المثال. **(١) الحلفا** : شجر معروف وهو نوعان يعرف أحدها بالقلما، **(٢) الحشيش : و (الحسر)**. **(٣) المرخ :** بفتح الميم وسكون الراء ثم خاء معجمة، شجر معروف في الفصحى بهذا الاسم، وترعاه الإبل ويستعمل في البناء . **(٤) القصب :** ويقصد به عيدان القمح أو الذرة بعد جفافها كانت تستخدم سقفاً للمنازل أو المساجد أو جدران البيوت القديمة ولاتزال تستخدم في بعض الأماكن في المنطقة إلى وقتنا الحاضر. **(٥) الطُفي :** بضم الطاء وكسر الفاء وهو نبات مشهور يكثر في المناطق الغنية بالمياه وتستعمل منه الحبال المعروفة . وهناك بعض الحشائش الأخرى التي كانت تستعمل لتغطية المنازل أو صنع الكراسي (المقعد) و غير ذلك [١].

وهناك العديد من النباتات التي لا يتسع المجال لذكرها كاملة ومفصلة، وقد فصلها العقيلي في كتابه : **معجم أسماء النباتات في منطقة جازان** . واكتفيت بذكر بعضها لأنها تعتبر الأشهر على مستوى المنطقة . ومعظم هذه النباتات والأشجار المذكورة لا يتدخل الإنسان في زراعتها، بل تنبت بعد سقوط الأمطار، وهذا ما جعلني أدرجها ضمن الأشياء التي كان يتم جمعها والتقاطها من الأرض العامة والخاصة . وهناك بعض النباتات التي تُزرع وتعتبر طعاماً للإنسان أوالحيوانات نذكر منها :الرجلة (رجل الفرس) وهرشة الراعي، والمريده، والذغابيس، والمصيص، وبنت الظبر، وكعابش. ونباتات أخرى تأكلها بعض الحيوانات كالرين، والسعيّد، والبجيرا، واللبنة، والحلاوة، والقطبة، والأفليق، والحمض، والأثل، والخمة، وأيبد، والعلفا، والعرفط [٢].

كما كان أهل البلاد يجمعون الحطب من أغصان وجذور بعض الأشجار المحلية، ويوجد في بعض المزارع والبساتين العديد من الثمار والمحاصيل التي كانت تجمع أو تلتقط من قبل أصحابها، ويلتقط بعض عابري السبيل من الأشجار المثمرة في أنحاء المنطقة.

---

(١) مقابلة مع علي شافعي، أحد الشيوخ في مدينة صبيا، في (١٤١٣/٤/٢٧هـ) . (ربيع) .

(٢) يوجد إسهاب كثير في عدد من صفحات البحث، لهذا اختصرناه في سطور عديدة، وآمل أن نرى من مؤرخي صبيا من يدرس التاريخ الحضاري الحديث لهذه البلاد، وهو موضوع جدير بالاهتمام . (ابن جريس) .

ومهنــة الجمع والالتقاط قديمة ومعروفــة عند جميع الأمم والشعــوب البدائية وأحياناً المتحضــرة . ومعظم الأشياء التي كانت تجمع وتلتقــط في القرون الماضية المتأخرة قلت أو اندثــر بعضها، وذلك لتطــور أحوال الناس الاقتصادية، وأصبــح عند أغلبهم أعمال مربحة تدر عليه فوائد وعوائد مادية جيدة .

كانــت مهنة الرعي في منطقة صبيا خلال القــرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميــلادي) بدائيــة، فالراعي يأخــذ أغنامه في الصبــاح إلى المناطــق الرعوية ولا يعود إلا بعــد الظهــر، ثم يعود مرة أخــرى من بعد العصر إلى المغــرب، ولم يكن لدى الرعاة الخــبرة اللازمــة التي تمكنهم من تكوين نظــام رعوي جيد من حيث أنــواع الطعام، أو توليــد حيواناتهم . أضف إلى ذلك أن الرعاية البيطريــة للحيوانات مفقودة ففي بعض الأحيــان قد يداهــم الحيوانات مرض يقضــي على القطيع كامــلاً، وصاحب الأغنام لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً تجاه ذلك . والمراعي تختلف من فصل لآخر، وهنــاك نباتات محببة لــدى الحيوان، وأصحــاب الأغنام لا يستطيعــون زراعتها إلا في الفصل المخصص لها . كما أن رياح السموم التي تشتهر بها المنطقة ويطلق عليها اسم (الغــبرة) تلعب دوراً في التأثير علــى النباتات والحشائش فلا تستفيد منها المواشي في الرعــي، واشتهرت المنطقة بالحيوانات الوحشية التــي تهاجم الحيوانات الأليفة . وكان الاعتمــاد في السابق منصباً على المــوارد الطبيعية للمياه وتتمثــل في الأمطار والسيول، ومياــه الآبــار نادراً ما تسد حاجة السكان للشرب . والرعــاة يعتمدون على المناطق التي تتوفــر فيهــا الأمطار والسيــول فهم يتنقلون من مــكان لآخر بحثاً عن الــكلأ الذي يسد حاجة مواشيهم، وكثيراً ما يتعرض هؤلاء الرعاة للمخاطر من أجل راحة أغنامهم[١].

وقــد حاولــت العثور على بعض الوثائــق التاريخية التي تفصــل الحديث عن أماكن الرعــي في بــلاد صبيا، أو أسماء مشاهير الرعاة خلال القــرن (١٤هـ/٢٠م) فلم أعثر على شيء من ذلك، مع أنني سمعت من بعض كبار السن أن مهنة الرعي كانت من أهم المهــن عند أهل المنطقة سواءً في السهول أو المرتفعات [٢]. كما أن الأستاذ العقيلي أشار إلى شيء من حياة الرعي والرعاة في منطقة جازان، وذكر عدداً من النباتات والأشجار المحببــة للمواشي المحلية، ومعظمها مــن الأبقار، والضأن، والماعــز، والحمير، وأحياناً الجمــال. ونلاحــظ تراجع مهنــة الرعي عند أهــل صبيا . بل عموم الســكان في منطقة

(١) مقابلة مع محمد علي عطية، أحد شيوخ قرية الباحر التابعة لمنطقة صبيا، في (١٤١٣/٥/١٣هـ) . (ربيع) .
(٢) التقيت بالعديد من رجال ونساء حاضرة صبيا في النصف الأول من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). (ربيع) .

جازان وبخاصة منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، والسبب سرعة التنمية والتطور في البلاد، فلم يأت العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا وعملية الرعي قلت كثيراً بل انعدمت في أجزاء من محافظة صبيا [١].

عرف أهل صبيا الصيد البري والبحري. وتنوع تضاريس المنطقة جعل الكثير من الطيور الصغيرة والكبيرة موجودة في أرجاء البلاد. وكان الناس قديماً بدائيين في صيدهم فهم يلجأون لبعض الحيل التي يستدرجون بها الغزلان والطيور. بل كان بعضهم يعمل حفرة كبيرة أو كمائن لصيد الحيوانات المفترسة مثل: الذئاب، والنمور، والأسود وغيرها [٢].

كما مارس أهل صبيا الصيد البحري، وجميع سكان ساحل وسهول منطقة جازان عرفوا فنون الصيد البحري. وقد سمعت من بعض أعيان حاضرة صبيا وكبارها ذكرهم لأشخاص وأسر اشتهروا بمهنة الصيد البحري. وهناك قصص شعبية وأهازيج كثيرة عند أولئك الصيادين. ويبدو أن ممارسة الصيد قديماً كان بدائياً ويعتمد الصياد فيه على جهوده الذاتية، مع أن الصيادين كانوا يتعاونون فيما بينهم أثناء استعدادهم وذهابهم في البحر للصيد [٣].

ثانياً: الزراعة:

كانت الزراعة بدائية إذ لم يكن هناك آلات حديثة لأساليب الري كالمستخدمة الآن، بل كان اعتماد السكان على مياه الأمطار والسيول. فبعد سقوط الأمطار يتجه الناس إلى أراضيهم لزراعتها وبعد أن يتم حرث الأرض يقوم المزارع برمي البذر في الأماكن التي تم حرثها، وينتظر بعد ذلك ظهور الزرع أو النبتة أياً كان نوعها، ولم تتوفر في تلك الفترة الأسمدة أو المواد المساعدة على نمو النبات كالمواد الموجودة الآن. وكانت حماية الزراعة تعتمد على طريقة واحدة وهي استخدام ما يسمى بـ (المقلاع)، وهو ما يطلق

---

(١) هذا التقهقر في مهنة الرعي ليس في بلاد صبيا فحسب وإنما في عموم أجزاء بلاد تهامة والسراة. وتحولت مهنة الرعي مؤخراً إلى تربية الحيوانات في المنازل والحظائر، وأصبح نادراً من يخرج بمواشيه إلى المراعي العامة. (ابن جريس).

(٢) هذا ما سمعته من بعض رجالات صبيا في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م). والصيد من المهن المعروفة القديمة، وفي كتب التراث تفصيلات جيدة عن الحيل والأساليب المستخدمة من الصيادين تجاه ما يرغبون في اصطياده من الطيور والحيوانات البرية. (ابن جريس).

(٣) تاريخ الصيد البري والبحري في منطقة جازان خلال العصر الحديث من الموضوعات المهمة والجديدة، ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس).

عليه عند أهل المنطقة (الميظفة) ، ويتكون المقلاع من نبات الطفي يتم ربطه وتنظيمه وفق طرق متعارف عليها ، ويطلق على هذه العملية اسم (الفتل أو الوظين) . وطريقة استعمال المقلاع أن يتم إمساك طرفيه بيد واحدة ويوضع في منتصفه حجر ثم يديره الشخص عدة دورات سريعة ، وبعد ذلك يترك أحد طرفيه فيخرج الحجر نحو الطيور التي جاءت لأكل الزرع . وهذه العملية لا تستعمل إلا في المرحلة الأخيرة من مراحل نمو الزرع .

وبعض الأراضي لم تكن صالحة للزراعة ولم يكن بيد صاحبها عمل شيء تجاه ذلك لأنه لم تتوفر لديه الخبرة والمواد اللازمة لاستصلاحها ، أضف إلى ذلك عدم توفر الأيدي العاملة وأصحاب الخبرة في المجال الزراعي . ومع ذلك كان هناك البوادر الدالة على التقدم في الزراعة وهي حفظ مياه الأمطار والسيول والاستفادة منها سواءً للزراعة أو حماية بعض المناطق من السيول الجارية التي ربما تقضي على المنطقة وتدمرها وهي تلك السيول التي تأتي من المناطق الجبلية . ومما يؤكد هذا الكلام ما ذكره الأستاذ العقيلي في كتابه: **المخلاف السليماني**، عن عناية الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بإقامة سد لوادي صبيا عندما زار منطقة جازان في (١٣٧٤/٢/١٦هـ) . فقال: " وقد رجا جلالته الأهالي في كلمتهم أن يتفضل فيأمر بإقامة سد لكي يحفظ مياه الأمطار الغزيرة الكثيرة التي تهطل على البلدة فيستفاد منها في الزراعة ، ومن الناحية الأخرى يصد عن بيوت البلدة خطر اجتياح السيول لها ، وقد اهتم بهذا الرجاء وأمر أن يُرسل مهندسون فنيون لدراسة المشروع تمهيداً لإقامته في أقرب وقت ممكن .

وتقوم حياة المنطقة على الزراعة فتربتها على درجة معقولة من الخصوبة والجودة ، وقد جاء التحقيق الصحفي الذي أجراه مندوب جريدة الندوة مع معالي وزير الزراعة وكانت الإجابة ما نصه : " أجمعت آراء الفنيين السعوديين والخبراء الأجانب الذين استقدموا إلى هذه البلاد على أن المنطقة الجنوبية من المملكة تتوفر بها جميع الإمكانيات الزراعية اللازمة التي يمكن أن تصبح ذات أثر واضح ملموس في سد حاجة البلاد من الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية التي تستورد منها كميات هائلة تقدر سنوياً بما لا يقل عن قيمة كافة الواردات عموماً ، وهي في معظمها من الحاصلات التي تنتج فعلاً في هذه البلاد ، أو التي يمكن إنتاجها بمجهود بسيط ، في حين أن استيرادها يستنفد قدراً من العملة الصعبة " . إلى أن قال " إن فيها جميع المقومات اللازمة لعناصر التنمية والتحسين وزيادة الإنتاج الزراعي فالمياه العذبة متوفرة إلا أنها تذهب هباء إلى البحر ،

فضلاً عما تحمله من مواد الخصب مثل (السلت) ، هذا إذا لم ترد مياه سيول جارفة فتدمر الوديان في بعض القرى وتحمل معها أرضاً زراعية خصبة لا يمكن أن تعوض، وتقذف بها إلى البحر " إلى قوله " وهناك الأراضي الزراعية الخصبة التي وصفت بأنها من أجود الأراضي الزراعية في هذه البلاد وفيما يجاورها من بلاد وهي بمساحات شاسعة جداً، وتتميز بوجود بعضها في صورة مسطح، وبعضها سطح ساحلي قريب من الموانئ، وبعضها على ارتفاعات متباينة من سطح البحر مما يغير من درجة الحرارة، كما هو معروف فيلطفها ويجعل من هذا التباين وسيلة لتوزيع الحاصلات، ففي الوقت الذي نجد في المنطقة الساحلية نباتات يلائمها الجو الحار مثل السمسم والذرة الرفيعة، نجد على مسافة قريبة منها نباتات تتطلب البرودة النسبية وتزرع في مسطحات الجبال والمرتفعات مثل القمح وأشجار الفاكهة والقشطة والأشجار المثمرة) [١].

بدأت نشاطات التنمية الزراعية في منطقة جازان، بصفة خاصة في مطلع الخمسينيات وبعد أن تم بناء سد ملاكي بسعة تقريبية تبلغ (٧١) مليون متر مكعب، وفي سنة (١٩٧٠م) أنشأت وزارة الزراعة والمياه محطة اختبارية مساحتها (٥٥) هكتاراً . وأجريت خلال المرحلة الأولى من المشروع اختبارات لتحديد مدى تكيف مزروعات كثيرة، منها الخضروات والقطن والعلف والشمندر السكري والفواكه والذرة والدخن والقمح والفول السوداني وقد نمت جميع هذه المزروعات بنجاح في المحطة الاختبارية . و(٨٠٪) من الأرض المروية بالسيول في المنطقة المزروعة بالذرة، و (٢٠٪) تزرع خضروات تسقى من السيول أو الآبار الأنبوبية إلى جانب محاصيل السمسم والعلف . وقد جرى تدريب المساعدين الفنيين، وعمال الإرشاد الزراعي والعمال الميكانيكيين [٢]. ويجري حالياً في المرحلة الثانية من المشروع، إنشاء أربعين حقلاً نموذجياً مزروعة بالذرة والخضروات في جميع أرجاء منطقة المشروع . كذلك يجري إدخال أصناف متنوعة من حبوب الذرة التي يمكن حصدها آلياً، وسيساعد مستشارون في إنتاج الدواجن، والماشية ، والتصنيع والتسويق موظفي المشروع في تحديد الجدوى الاقتصادية لتنمية مشاريع الماشية من أجل استخدام المحصول الإضافي من حبوب الذرة. كما يجري تشجيع الزراعة الآلية. ويعود السبب في ذلك جزئياً إلى نقص الأيدي العاملة في المملكة . وقد أقيم مركز

(١) محمد أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، الجزء الثاني، ص ٤٧. (ربيع) .
(٢) عبدالباسط الخطيب، سبع سنابل خضر (الرياض. وزارة الزراعة والمياه ١٩٨٠م) . ص ٣٦٣ .(ربيع).

خدمات كامل التجهيز في موقع المشروع[١]. للمساعدة في جهود الميكنة، واستعمال الآلات الميكانيكية، ومن المقرر عام (١٩٧٩م/١٩٨٠م) إدخال أساليب الري بالرش والتنقيط (على شكل قطرات) .

وتجري الاستعدادات لبدء برنامج لتدريب (٤٠) طالباً من أجل حصولهم على الإرشادات الفنية، وتبذل وزارة الزراعة والمياه جهوداً عظيمة لجذب المهنيين السعوديين إلى هيئة موظفي المشروع، ويجري الآن استخدام الجزء الأكبر من الخمسين هكتاراً من التي تشكل حقول المحطة، وذلك لإنتاج البذور المحسنة لتوزيعها على مزارعي المنطقة. ومن أهم اتجاهات المرحلة الثانية وضع برنامج للقرى بقصد التنمية الزراعية[٢].

وتعتبر المنطقة غنية بأنواع كثيرة من المحاصيل الزراعية سواءً في القرن الرابع عشر الهجري أو في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نظراً لصلاحية تربتها وطينتها الزراعية. والمحاصيل الزراعية الموجودة الآن في المنطقة هي نفس المحاصيل التي كانت موجودة في الماضي ولم يختلف إلا الاهتمام بهذه المحاصيل وتوفر الإمكانات اللازمة لنموها وحمايتها، بالإضافة إلى ظهور القليل من المحاصيل التي لم تكن معروفة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويمكن ذكر بعض المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد صبيا كما أشار إليها الأستاذ العقيلي في كتابه المعجم النباتي[٣]. فقال : **(١) الأترج :** واحدته أترجه ويسمى لدينا " ترنج " وهو من الحمضيات له لب أبيض زكي الرائحة ويؤكل . **(٢) أشب:** بفتح أوله، شجرة ذات ساق وفروع، لها أوراق مستطيلة مجدولة، ولها ثمر أخضر مثل النبق تأكله القرود، ويذكر أهل الجبال أنه إذا قطعت فروعه وعمل منها مظلة للأبقار التي تستظل تحتها يصيبها مرض يؤدي بها إلى الموت، وبعكس ذلك إذا استظلت الأبقار تحت شجرتها وهي خضراء لا يصيبها أذى، وبالطبع فهذا القول العام لم تثبته التجربة العلمية . **(٣) الباميه :** وهي من الخضر المعروفة التي تطبخ مع اللحم وتؤكل في أكثر البلاد. وهي من الخضار المرغوبة . **(٤) بدنجان:** الباذنجان معروف بهذا الاسم في سائر البلدان العربية ويزرع لدينا في البساتين مع الخضار . **(٥) البرتقال:** وهو المعروف في كتب الأدب واللغة بـ " النارنج " وهو بالنسبة إلى منطقتنا جديد حيث أنها لم تعرف زراعته إلا منذ نحو عشرين سنة وقبلها كانت

---

(١) نفس المرجع .

(٢) الخطيب، ص ٣٦٥ . (ربيع) .

(٣) محمد أحمد العقيلي، المعجم النباتي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، ص ١١-١٢ . (ربيع) .

ترد فاكهة مستوردة وإلى هذا التاريخ والمزروع منه قليل . **(٦) البسباس :** ويسمى في بعض البلاد الشطة وفي بعضها "فلفل أخضر" وهو يزرع في القسم الجبلي ويعرف في البادية باسم "حوائج الروم" كما يزرع في البساتين في سهول المنطقة وهو لاذع الطعم حريفه . والمعروف لدينا نوع أحمر قمعي والأصناف الموجودة حالياً فهي مستوردة، وقد بدأت تزرع محلياً . **(٧) البِشام :** شجر يستاك بأغصانه فيعطر الفم وهو معروف في البادية والحاضرة قديماً وحديثاً بهذا الاسم وهو ذو ساق وله وريقات صغيرة، وقد تردد اسمه في الأشعار العربية . **(٨) البصل :** معروف ويزرع في الحزون والجبال، وفي جهتنا نوع منه صغير البصلة . **(٩) البطيخ :** يطلق لدينا على ما يسمى (الخربز) وهو يزرع موسمياً في صبيا وما حولها. **(١٠) البعيثران:** بكسر الباء الموحدة وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وكسر الثاء المثلثة ثم راء مهملة فألف ثم نون . نبتة عطرية من نوع الرياحين غبراء اللون لها أوراق مثلثة صغيرة. **(١١) البرشومي:** وهو التين المعروف في البلاد العربية ويوجد بكثرة في جبال صبيا وغيرها . **(١٢) البرقوق:** وهو من الفاكهة المعروفة تنبت بساتينه في بعض جبال المنطقة[٤]. **(١٣) البن :** بضم الباء التحتية الموحدة ثم نون، وهو شجرة القهوة المعروفة في صبيا وبخاصة القسم الجبلي يزرع أنواع منها، وليس في جودة البن اليمني. ويرجع أصل نبات البن إلى الأحباش فهم أول من اكتشفوا البن ثم زحفت زراعته إلى اليمن. وأجزاء من منطقة جازان. **(١٤) التين:** هذا هو الاسم الذي ورد في الكتاب العزيز وأشجاره في صبيا وأبي عريش وجازان وغيرها من بقية المدن . **(١٥) الثوم:** وهو النبات المعروف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وهو من البقول المعروفة ويزرع في الحزون والجبال. **(١٦) الثيل :** وهو نبات يفترش الأرض أشبه ما يكون (بالقرمل) من النباتات المالحة التي تنبت قرب الشواطئ . **(١٧) الجُلجلان:** بضم الجيم الأولى وسكون اللام وكسر الجيم الثانية ثم لام وألف فنون . وهو نفس السمسم المعروف ويعصر في المنطقة بمعاصر بدائية. **(١٨) الجوافة :** شجر من الفاكهة المعروفة بهذا الاسم ولم يعرف غرسها في المنطقة إلا من مدة قريبة إذ لم تعرف زراعته في أوائل القرن الرابع عشر الهجري . **(١٩) الحبحب :** نبات معروف ومشهور وكانت زراعته عن طريق المزارعين الذين يضعون البذرة وينتظرون . ويكون مفروشاً على سطح الأرض وبعد نضوجه تماماً يتم التقاطه من على الأرض . وللحبحب أهميته الكبيرة

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩، ٢٠ . (ربيع) .

لأن وجـوده قـديم إلا أن زراعته أخـذت في التطور شيئاً فشيئـاً إلى أن أصبحت بالطرق الحديثة كاستخدام البيوت المحمية وغيرها.

(٢٠) السـدر : شجـر معروف ذو شوك، ورد اسمه في القـرآن الكريم وورد ذكره في الشعـر، وهـو من الأشجار المظللة المثمرة وأكثر ما ينمـو على ضفاف الأودية فيتكون منـه غابات وارفـة الظلال زاهية الأفنـان. يثمر السـدر مرة واحـدة في السنة، ويؤكل أخضر أو يابساً ويسمى النبق، وأحياناً يسمى (كين) . ومن خواصه : **(أ)** : ثمرة المسمى (النبق) بكسر النون المثقلة وسكون الباء الموحدة ثم قاف فيه خاصية ملينة. **(ب)** ومن مسحوق أوراقه يتكون مشوش لغسل شعر الرأس ذو رغوة تزيل الأوساخ العالقة بالشعر. **(ج)** يستعمـل مسحـوق ورق السدر في حنوط الموتى وقد أشـير إلى ذلك في كتب الفقه . **(د)** تستعمـل أخشابـه في صناعة السفـن الشراعية وفي صنع الأسـرة وغيرها. ويوجد شجر السدر عموماً في كل أجزاء منطقة جازان وأكثره يوجد في أرض صبيا.

(٢١) الشمطـري: بفتح الشين وفتح الميم وسكـون الطاء المهملة فراء فياء مثناة تحتيـة نبـات عطـري قريب الشبـه بالنعناع المـدني ولايـزال موجوداً حتـى الآن ويكثر بيعـه في أسـواق الروائح العطريـة. **(٢٢) الطماطم:** وهي معروفـة في المنطقة باسم (طماطيـس) وهي تزرع في فصل واحد مدة ثلاثة أشهر تقريباً وهذا المحصول مشهور عنـد أهالي المنطقة وله عدة استخدامات فيـؤكل نيئاً ويؤكل مطبوخاً ويقال أن أكله نيئاً يفيـد المصابين بفقر الدم . وكثيراً ما نرى أسـواق المنطق مليئة بهذا المحصول لسهولة زراعته ومكانته عنـد أهل البلاد خاصة وفي المملكة بصفة عامة. **(٢٣) العنب:** بكسر العـين وفتح النـون ثم باء وهـو شجرة الفاكهـة المعروفة في البلاد يوجـد منه في جبال المنطقـة أنـواع متوسطة في الجودة أمـا الجيد منه فيوجد في جبـال الطائف وفي جبال اليمن. وينقسم العنب إلى نوعين من حيث اللون فمنه الأبيض أو الأسود **(٢٤) العنبا :** بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء ثم ألف ممدودة، ويسمى أحياناً عنبا فلفل، وشجرتـه ذات ساق وأوراق كبيرة ذات ثلاث شعب قريبـة الشبه بأوراق شجرة الخروع وهو الذي يسمى بـ (الباباي) .

(٢٥) الفجـل: ينطـق بكسر الفاء على الجـزء الأبيض في الفجـل أما الورق فيقـال لـه (بقـل)، وهو مـن أنـواع البقول التـي يأكلهـا النـاس بشكل يومـي. **(٢٦) الفـل:** بضـم الفاء ثـم لام . وهو زهـر أبيض جميل زكـي الرائحة . أمـا شجرته فهي

شجرة معرشة، لا يقلها ساقها الضعيف وأغصانها متهدلة وأوراقها خضراء لوزية ويطلق عليها في منطقة صبيا اسم (الرديمة). (٢٧) **القثا :** بكسر القاف. وهو من النباتات الحديثة في وفود زراعتها إلى المنطقة ولم تكن تعرف في القديم . (٢٨) **القشطة :** بفتح القاف وسكون الشين وفتح الطاء . وهي شجرة الفاكهة المعروفة في مصر وغيرها بهذا الاسم . أما اسمها المحلي في منطقتنا فهو (الشفلح) بفتح الشين المعجمة والفاء ثم لام مفتوحة مثقلة فحاء مهملة ويوجد بكثرة في جهات العارضة والعبادل وجبال صبيا وفيفا . (٢٩) **الكادي:** بفتح أوله، وهو شجر معروف برائحته العطرية الزكية ويوجد في بعض جبال وأودية صبيا وما جاورها . (٣٠) **الكرات :** من البقول المعروفة ومن البقول المستجدة في منطقتنا ولم تعرف زراعته في جهتنا إلا منذ حوالي اثنين وعشرين عاماً .

(٣١) **كعابيش :** وهي نبتة ترتفع قدر شبر من الأرض لها أوراق مستطيلة صغيرة مسننة ولها زهر كزهر الحناء ثم تطلع طلعاً أخضرَ في حجم بيضة الحمام، مطرز بشوكات رطبة وتؤكل رطبة حلوة الطعم . (٣٢) **الكُنَاب :** بضم الكاف وفتح النون وهي شجيرة تتألف من قصبات تحلية أشبه ما تكون بقصب صغار نبات الدخن يطلع سنابل بها حبيبات صغيرة مدورة سوداء تطحن وتؤكل خبزة . (٣٣) **الليمون :** ومنه الحلو والحامض وله خواص دوائية معروفة ويزرع في جبال وسهول صبيا وغيرها. (٣٤) **الموز:** من الأشجار المعروفة ويوجد في منطقتنا منه نوع أصفر يسمى (زعبي) أما النوع الأخضر فيأتى به من اليمن الشقيق وله شعبيته الكبيرة في المنطقة . (٣٥) **النعناع:** نبته معروفة تزرع في المنطقة في جبال صبيا وفيفا وكذلك في السهول ويستعمل في الشاي. (٣٦) **الياسمين:** بفتح الياء بعدها ألف فسين مهملة بعدها ميم فنون وهي شجيرة ذات زهر أبيض عامر وهي من الأشجار المستوردة حديثاً إلى المنطقة . ويمكن القول أن الاهتمام بهذا المحصول كبير نظراً لشعبيته عند الناس وأصبحت أهميته لا تقتصر على أسواق المنطقة بل يشمل جميع مناطق المملكة العربية السعودية، كما أن زراعته أصبحت بكميات أكبر من السابق عكس بعض النباتات الأخرى . (٣٧) **محصول الدجر:** شجر يرتفع عن الأرض حوالي نصف متر تقريباً وتتفرع منه عدة أغصان وتحتوي على عدد كبير من الثمار، وعند نضوجها تماماً يتم جمعها ثم تجفف تحت ضوء الشمس بعد ذلك تنظف وتطبخ وكانت في السابق من الوجبات الرئيسية لسكان صبيا، إلا أن هذا المحصول أصبح نادر الوجود خاصة وأن الناس استعاضوا عن

زراعته بزراعات أخرى ذات فائدة أكبر سواءً من الناحية الغذائية أو القيمة المادية إذا أرادوا بيعه، لأن نبات الدجر كان يباع بأثمان رخيصة . أما طريقة جمع الدجر فهي بدائية حيث يتم جمعه بالأيدي وهذه الطريقة لم تتطور مع الزمن نظراً لتقلص زراعته وقلة الحاجة إليه . **(٣٨) الحلبة :** نبات معروف وله شعبيته في المنطقة وتزرع في القسم الجبلي من صبيا وفي اعتقادي أنه رغم مرور أكثر من مائة عام على معرفة هذا النبات إلا أن شعبيته ترتفع يوماً بعد الآخر إذ أنه لابد من توافر الحلبة على كل وجبة غداء ويوجد لها باعة يختصون في عملها حيث يجهزونها في بيوتهم ويخرجون بها إلى الأسواق لبيعها. **(٣٩) الدُبا :** بضم الدال المهملة المثقلة ثم باء موحدة فألف وقد يضاف فيقال (دبا أبو رقبة) ، وهو نوعان الأول حلو يؤكل نيئاً ومطبوخاً، والآخر مر المذاق ويستعمل جرمه وعاء للبن ويسمى عند أهل المنطقة (دبيه) . أما طريقة طبخه فهناك طريقتان لطبخ الدبا الأولى: وهي أن يغسل ويقطع إلى أجزاء صغيرة ويطبخ مع غيره من الإدامات . أما الطريقة الثانية فهي أن يغسل الدبا ثم يوضع في التنور كاملاً وبعد حوالي نصف ساعة يتم إخراجه ويؤكل، وكلا الطريقتين مستخدمتان في عموم منطقة جازان، وهناك نوع من الدبا يسمى دبا أبو جميلة وهو نوع من الحبحب صغير الحجم وهذا النوع هو الذي يؤكل مشوياً . **(٤٠) الدخن :** من الحبوب المعروفة وتعتبر منطقة جازان بصفة عامة من أشهر مناطق المملكة في زراعته وإنتاجه . وزراعته تشبه إلى حد كبير زراعة الذرة .

(٤١) الذرة : بضم الذال المعجمة وهو المزروع الأول والرئيسي في المنطقة غير أن الذرة نوعان . النوع الأول يسمى الذرة الحبشية وزراعتها قليلة، أما النوع الثاني فهي الذرة الدقيقة وهذا النوع هو الذي تشتهر به بلاد صبيا وعموم منطقة جازان والحديث عن هذا المحصول وحده يحتاج إلى فصل بمفرده ولكن سنتحدث عنه بنوع من الإيجاز فالذرة أو القمح تمر زراعتها بعدة مراحل ففي السابق كان صاحب الأرض ينتظر بعد سقوط المطر ويقوم بحرث الأرض حسب الطريقة البدائية ثم يرمي البذرة في الأرض وتمر البذرة بعدة مراحل يطلق أهالي المنطقة على كل مرحلة اسماً ومنها : **(أ) لزم :** وهي الفترة التي تكون البذرة فيها مرتفعة عن سطح الأرض شيئاً قليلاً . **(ب) شتا أو (وزرة) :** أي يكون الزرع في هذه المرحلة قد بلغ حوالي نصف متر تقريباً ويمثل في هذه المرحلة طعاماً لذيذاً للحيوانات. **(ج) رصوف :** وفي هذه المرحلة يكون الزرع قد بلغ المتر أو أكثر إلا أن الثمار لم تخرج بعد. **(د) جضم:** وهي المرحلة التي يبدأ

الثمر فيها في الظهور إلا أنه لم يصبح صالحاً للأكل بعد. **(هـ) الصفو :** وهي المرحلة التي تبدأ الثمار في النضوج حتى تصبح صالحة للأكل وتكون بيضاء اللون ويطلق عليه اسم (الخضير) لأن لون الثمرة يميل للخضرة . أما إذا تأخر صاحبه في أخذه فإنه يتحول إلى حب وهو الحب المعروف ويكون لونه إما أحمر أو أبيض. **(و) النصير:** وهذه المرحلة هي التي يصبح الزرع فيها صالحاً ومكتملاً للقطع (أو العلفة) كما يسمى أهالي المنطقة هذه العملية . فتصبح الفائدة من هذا الزرع إما للأكل حسب الطريقة المعروفة أو تستخدم طعاماً للحيوانات سواءً الحمير أو الجمال أو البقر أو الأغنام أو غيرها. وخلال هذه المراحل التي تمر بها الذرة يكون صاحبها مرتبطاً بوظيفة حمايتها من الطيور التي تأتي لأكلها خاصة في أوقات الصباح والعصر ولم يكن لديه وسيلة لحمايتها إلا عن طريقة استخدام (المقلاع) المعروف الذي سبق الحديث عنه . كان هذا الحديث عن زراعة الذرة قبل حوالي (٧٠) عاماً . أما الآن فإن العملية تختلف كثيراً من حيث استخدام أجهزة وآلات متقدمة (الحراثة) وحماية المحصول بأدوية كيماوية لحماية المحاصيل من الأوبئة التي قد تقضي على المحصول كاملاً ، كذلك استخدام الأسمدة لإصلاح الأراضي وجعلها صالحة للزراعة، وأيضاً استخدام آلات وأجهزة جديدة تقوم بحصد المحصول في مدة قصيرة وتحافظ على أكبر قدر منه .

وهناك بعض النباتات التي تستعمل كعلاجات لبعض الأمراض، والمنطقة غنية بهذه الأنواع من النباتات، ونذكر بعضاً منها : **(١) نبات الأسرار :** وهو من نوع السبار يحند ويقدم علفاً للماشية ولها زهرة خضراء في رأس الفرع يغش الزهرة إذا استكملت، وله حبوب كالحمص بل أصغر منه وإذا حندت الشجرة وجد في بعض أجزائها شبه كعوب خشبية يدخن بها في البادية كمطهر للجروح . **(٢) البردقوش:** بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الدال المهملة وضم القاف ثم واو فشين معجمة . نبتة عطرية معروفة في المنطقة، وهي نبات يتداوى بمنقوع أوراقها من بعض الأمراض الجلدية. **(٣) البرْك :** بكسر الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم كاف وهو جنس من الأعشاب العطريةَ وله أوراق إبرية صغيرة بيضاء مائلة إلى الاغبرار يعمل منه عصائب على رؤوس الشباب في البادية وضمادات لرؤوس الفتيات . **(٤) البنج :** وهو المخدر المعروف، شجيرة ترتفع قدر متر أو أكثر لها أوراق خضراء غامقة ولها أكمام تفتح عن حبيبات حمراء فاقعة . يدخن بها لتسكين آلام الضروس . **(٥) الزعتر:** بفتح الزاي المعجمة كما ينطق في جهتنا أما في كتب النبات فبالصاد المهملة وبالسين . وهو نوع من

النبات معروف وله خواص دوائية ذكره ابن سيده وأبو حنيفة الدينوري. **(٦) السناء:** بفتح السين المهملة المثقلة ثم نون مفتوحة فألف ممدودة وقد يضاف فيقال (سنامكي) وهي شجيرة معروفة في البلاد العربية بخاصيتها المسهلة للبطن .**(٧) الغار:** نبتة لا ترتفع كثيراً، لها وريقات في حجم النصف قرش مدورة مشبعة بالماء فغشاه بزغب ناعم ولها نوائف أشبه بنوائف (الطرف) وهي عطرية الرائحة ويستعمل في البادية ضمادات على الرؤوس. **(٨) عصف:** وهو شجر يشبه شجر القضب له أوراق بيضاوية خضراء أصغر من أوراق الليمون ومن فوائده : (أ) يتداوى بثمرته من مرض الركب بشرب نقيعه . (ب) تؤكل ثمرته كطاردة للرياح. **(٩) عين البقرة:** شجيرة ترتفع إلى قدر المتر لها فروع وأوراق كأوراق الجميز ولها ثمر كثمر الليمون ولها بذر كبذر البسباس يستعمل بخوراً لوجع الأضراس فتخدر الألم، وهي من فصيلة البنج . **(١٠) الغاقة :** وهي شجيرة مفترشة لها أوراق ذات اخضرار غامق لها جنى في حجم (جوزة الطيب) إذا فتحت وجد فيها بذرة كحبة السوداء[1]. زكية الرائحة لها فوائد دوائية أهمها: تسحق أوراقها وتخلط مع السمن وتشرب ترياقاً معروفاً في البادية يذكرون أنه مجرب ونافع بإذن الله . **(١١) غرابة :** شجرة لا يزيد طولها على قامة أو قامة ونصف وقد يكون لها جذع وقد تكون لها فروع تنبت من جذعها المدفون . ولها ورق كأوراق الغرف ترعاها الماشية يستقطر من أعوادها (قطران) أسود له رائحة مقبولة حادة يتداوى به في البادية من الحكة والجرب والخنازير وبعض الجروح .

(١٢) القضب: وهو شجر ينبت غالباً في الأرض الرملية ويرتفع فوق المترين وله أوراق مستديرة خضراء تتكسر إذا عطفتها ولا يزيد حجم أوراقها عن مدار القرش. وهي مرة المذاق ترعاها الإبل ومن خواصه : **(أ)** يعمل من مسحوق أوراقه ضماد لجروح الإبل. **(ب)** تستعمل جذوعه أساساً للبيوت التي تُشاد من الأخشاب والقشاش . **(١٣) الأرواء :** بسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ممدودة. هو شجر لا يطول عن متر لونه أخضر باهت مائل إلى الاغبرار أوراقه صغيرة مستطيلة يحمل بعذوق بها حبيبات قمعية هشة خفيفة تستعمل بعد جفافها حشواً للمتكآت في المجالس ومن خواصه المعروفة والمجربة: **(أ)** يوضع قمعه على الجرح الدامي فيقال أنه يوقف النزيف . **(ب)** ترعاه المواشي. **(١٤) الرقم:** يستعمل لإزالة البياض الذي يصيب العين ويعرف بـ (الرقعة) . وأخيراً يمكن القول أن هذه النباتات والمحاصيل الزراعية سواءً المستخدم

(١) حبة السوداء، وهي الاسم المعروف بحبة الشفاء . (ربيع) .

منهـا لـلأكل أو للتداوي ليست كل ما يوجد في بلاد صبيا ؛ بـل إن هناك بعض الأشجار والأعشاب والنباتات يستفاد منها من عدة أغراض.

ثالثاً: الصناعات التقليدية :

منطقـة صبيـا، غنيـة بأنـواع كثـيرة مـن الصناعـات اليدويـة، ونذكـر أهمهـا: **(١) صناعـة الأواني الفخاريـة**[١]. وطريقـة صناعتهـا تشكيل الطـين على أشكال مختلفـة حسـب الحاجة، أو حسب الشـكل الذي يريده الخزفي، ويوضـع هذا الشكل في أفـران خاصة، وهـذه الصناعة لها شهرة كبيرة في بلاد صبيا منـذ القدم وحتى يومنا هـذا، وكان الناس يعتمـدون عليها اعتماداً كلياً إذ لم تكن تتوفـر لهم الأواني الحديثة، وتتركـز صناعة الأواني الفخارية في المنطقة الواقعة بين مدينة صبيا، وبيش وتسمى أبو القعائد . وتزداد الحاجة لهذه المصنوعات في شهر رمضان المبارك[٢].

(٢) صناعـة السـرر الخشبية (المقعد) : وتقـوم هذه الصناعة على استغلال أخشـاب أشجار السـدر والسلم والأثل . ويتكون السرير من أرجـل أربع وساقين ويكون الوسـط في بداية الأمر مفرغاً، ثم بعد ذلك يربط بالحبال التي تصنع محلياً من سعف النخيـل، وهـذه السـرر يوجد منها الكبـير والصغـير والمتوسط ويسمـى الصغير منها (الغـزالي). ولا يخلـو أي بيت من بيـوت المنطقة من هذه السرر رغـم انتشار صناعة السـرر الحديدية، وكثير مـن الناس يرتاح في النوم على هـذه السرر[٣]. **(٣) صناعة الشـدود :** ومفردها شد، وهي سـرج يوضع على ظهور الحمير، وتصنع من القش الذي يوضع داخل جلد الضأن ثم يشج ويشد بحبال النايلون . **(٤) الصناعات الحجرية :** وتعتمـد اعتماداً كلياً على عملية النحت، وأهم هذه الصناعات **(أ) صناعة المطاحن:** وتقـوم على قوة بدنيـة كبيرة، لأن الصانع يقـوم بنحت الصخـور الصلبة حتى يصبح شكلهـا مناسبـاً لطحن الحبـوب. وتتكون المطحنة مـن سطح حجـري يسمى مطحنة، وعمـود من الحجر يسمى وادي المطحنـة[٤]. **(ب) صناعة الرحى :** وهي طبقتان من

(١) من معلومات الباحث، ومقابلة مع علي شافعي أحد شيوخ المنطقة في (١٤١٣/٤/١٧هـ) . (ربيع) .

(٢) تشتهـر منطقة جـازان بالصناعات الفخارية، ومازلنـا نشاهد الكثير من المصنوعـات في أسواق المنطقة الشعبيـة والحديثـة، وهـذه الحرفة تستحـق أن تدرس في هيئة كتـاب أو رسالة علمية، ونأمـل أن نرى أحد طلابنـا في برامج الدراسات العليـا يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في رسالة الماجستير أو الدكتوراه . (ابن جريس) .

(٣) هـذا كلام صحيح، فقد زرت مؤخراً بعض الأسـر في محافظة صبيا وبيش ووادي جازان، وشاهدت الكثير من السرر الخشبية، وكبار السن من الرجال والنساء يفضلونها على السرر الحديثة . (ابن جريس).

(٤) مقابلة مع عيسى أحمد عثاثي، مدرس مادة التاريخ في مدرسة الباحر الثانوية في (١٤١٣/٥/٢٩هـ) (ربيع).

الصخـر منحوتـة على شكل دائري متسـاو لها مقبض من الأعلى، يقـوم العامل بصب الحبـوب في تجويـف في المنتصف، ثم يحـرك الطبقة العلوية منه بشـكل دائري وبذلك تتـم عمليـة طحن الحبـوب[١]. **(ج) صناعة المغاشـ :** وهي أوانٍ مجوفـة من الوسط يوضـع بها اللحم عند طهيه، وهـذه الصناعة صعبة للغاية لأنهـا تتطلب الصبر والفن والجهـد المتواصل. ووجبة المغش مشهورة في المنطقـة ومرغوبة، وبخاصة وجبة الغذاء، وفي هذه الأيام نلاحظ ازدياد ميل الناس إلى هذا النوع من الطعام . **(د) المشهق :** هذا المصطلـح المتعارف عليه عند أهل صبيا وتشبه المشاهـق الطاوات وتستخدم لتحميص البن والفصفص، واستخدام المشاهق الآن أصبح نادراً جداً [٢].

(هـ) الجِبَن : بكسر الجيم وفتح الباء وهي دلات مصنوعة من الطين وتطبخ فيها القهـوة، وحل محلها الآن الدلات المعروفـة، إلا أن كبار السن مازالوا يحتفظون بالجَبَنَة لأنهـم يتلذذون لقهوتهـا. وتعرف عند السودانيين بالاسم نفسـه ويطلق عليها في اليمن (جمنة) وجمعها جمين وجمان . **(و) الفناجين :** وهي أوعية تصب فيها القهوة، ويوجد علـى أطرافها الخارجية بعض النقوش الفنية التي تضفي عليها رونقاً وجمالاً تدل على الفـن الذي تمتع به هؤلاء الصناع . وبالرغم من منافسة الصواني الزجاجية للفناجين فاستعمالهـا مازال محبباً لـدى بعض سكان المنطقة. **(ز) المركـب :** موقد صغير يوضع بـه الفحم ويشبه في استخدامـه الدافور المستعمل الآن. واستخـدام المركب الآن أصبح نـادراً جداً نظـراً للتطور في استخدام أدوات أقل تكلفـة وأكثر منفعة[٣]. **(ح) الجرار :** وهـي أوعية يوضع فيها مـاء الشرب للتبريد، ويفضل أن توضـع في مكان مظلل، ويوجد أنواع أخرى صغيرة من هذه الجرار إحداها تسمى الشاطرة والأخرى تسمى الرجبية[٤] نسبة إلى شهر رجب حيث يكثر استعمالها فيه. **(ط) التنانير :** أفران تصنع من الطين

---

(١) الرحـى معروفـة عند جميع سـكان تهامة والسراة، وقـد شاهدت بعض أنواعهـا في مناطق جازان وعسير والباحة، وهي تتفاوت في الأحجام، حتى إن بعضها كبير جداً، ولا يستطيع حملها أو نقلها إلا فريق كبير من الرجال. (ابن جريس) .

(٢) حبـذا يـا أستـاذ ربيع أن تتوسـع في هـذه الدراسة، كما أرجـو أن تجمـع المصطلحات والمفـردات اللغوية المستخدمة في الطعام والشراب، واللباس والزينة، وكذلك الزراعة، والمهن والحرف والصناعات التقليدية. (ابن جريس) .

(٣) تاريـخ الصناعـات التقليدية في عموم منطقة جازان من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس) .

(٤) أكرر القول للمؤرخين واللغويين والباحثين في منطقة جازان على أن هناك الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغويـة المحلية تستحـق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية . وأرجو أن تقوم الكليات والأقسام المعنية في جامعة جازان بهذه المهمة العلمية. (ابن جريس) .

تشكل بطريقة معينة وتستخدم لصناعة الخبز وطهي اللحوم وهو ما يسمى عند أهل المنطقة باسم الحنيذ (المندي). وتوجد التنانير في معظم بيوت المنطقة واستعمالها لايزال إلى وقتنا الحاضر لكن ليس كالسابق، ولايزال الكثير من أهالي المنطقة يعشقون الأكلات التي يتم عملها عن طريق هذه التنانير لأنها تكسبها نكهة خاصة. **(ي) الحياسي:** أوعية من الفخار يوضع بها الطعام عند أكله، وحل محلها الآن الصحون المعدنية والصينية والبلاستيكية والزجاجية[١].

(٥) المصنوعات الحديدية: هذا النوع من الصناعة يعود إلى الوراء قروناً عديدة لأن ظروف المعيشة في الماضي أجبرت الإنسان على هذه الأنواع من الصناعات ليستطيع عن طريقها الحصول على قوته ومن هذه الصناعات: السكاكين، والفؤوس، والمخارش، والقاروع، والأزمين وبعض الأدوات التي تستعمل لحرث الأرض الزراعية، وكذلك طاولات مقرعة من الأعلى يوضع فيها الماء والبعض الآخر يوضع فيه الحبوب لكي يسهل على الحيوانات أكله بسهولة. ويقدر عدد الصناع الممارسين لهذه المهنة في منطقة صبيا، بخمسة عشر صانعاً، وتنشط هذه المهنة في عيد الأضحى المبارك وخاصة صناعة السكاكين[٢]. **(٦) صناعة الزيوت النباتية (السمسم):** تعد منطقة صبيا الأولى بالمملكة العربية السعودية في صناعة زيت السمسم لتوفر جميع الموارد الخاصة بهذا النوع من نبات وأيد عاملة وأماكن مخصصة لهذه الصناعة. والمادة الأولية لهذه الحرفة هو نبات السمسم ويطلق عليه أهل المنطقة اسم (الجلجلان) وطريقة إعداده يحضر الشخص الإبل سواءً ذكراً أم أنثى ويربط على عينها قطعة من القماش ثم يربط هذا الحيوان بجهاز يقوم بتحريك المادة التي توضع بداخله وهي نبات السمسم إلى أن تتحول إلى مادة سائلة تسمى (السليط) حسب مصطلح أهل تهامة، وتمثل هذه المادة قيمة غذائية كبيرة تستخدم في معظم الأطعمة، وليس لأصحاب هذا النوع من الصناعة سوق مخصص لأنهم قلة[٣].

---

(١) ما أشرت إليه يا ربيع نماذج محدودة من الحرف والصناعات التقليدية، وأرجو منك أو من أحد الباحثين الجادين في بلادكم أن يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة. (ابن جريس).

(٢) الصناعات الحديدية من أنشط الحرف في مجتمعات تهامة والسراة، وذلك لأهمية الأدوات الحديدية التي تستخدم في ميادين عديدة، وكنت أتمنى يا ربيع أنك فصلت كثيراً في هذه الصنعة، وأيضاً ذكرت سيراً ذاتية مختصرة للصناع الخمسة عشر الذين أشرت إليهم في صبيا أثناء إنجاز بحثك في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). (ابن جريس).

(٣) صناعة السمسم منتشرة في بلاد تهامة من القنفذة ومحائل إلى بلاد جازان، وهي من الصناعات القديمة والجديرة بالبحث والتوثيق. وقد استبدلت الحيوانات وبخاصة الجمال مؤخراً حيث حل محلها أجهزة كهربائية، تقوم بعملية عصر السمسم، ومازالت تمارس بشكل جيد في صبيا ومناطق أخرى عديدة في تهامة. (ابن جريس).

(٧) النسيج والخياطة : وهذا النوع من الصناعة لم يكن متوفراً بكثرة في القرن الرابع عشر الهجري وذلك لعدم توفر الخامات اللازمة، أضف إلى ذلك عدم وجود الحاجة الماسة لهذه الصناعة إلا في المناطق الجبلية أو البدوية، حيث كان هؤلاء الناس يستفيدون من جلود الأغنام والحيوانات في صناعة الملابس الخاصة بهم وصناعة بيوت الشعر. وهذا يرجع إلى بعدهم عن المراكز الحضارية والأسواق الموجودة في البلاد، بالإضافة إلى عدم توفر النقود التي يشترون بها الملابس، فكانت هذه الصناعة هي الحل الوحيد لهم. أما الآن فإن هذا النوع من الصناعة انقرض نهائياً سواءً في المناطق الجبلية أو البدوية، وذلك لدخول الحضارة إلى جميع مناطق المملكة وتوفر وسائل النقل التي يسهل على هؤلاء الناس عملية الوصول إلى المراكز الحضارية والأسواق التجارية[١]. **(٨) دباغة الجلود :** كان الناس قديماً يقومون بسلخ الأغنام، ويأخذون الجلود لدباغتها واستخدامها في عدة أمور مثل: الدفوف التي تستخدم في الفنون الشعبية، وتستعمل في تلبيس السرر (المقعد) وغيرها [٢].

(٩) الصياغة : تعتبر أقل المهن استخداماً خلال القرون الماضية، وهذا لا يمنع من وجود بعض الناس الذين اشتهروا في صبيا بهذه الصناعة فكانوا يقومون بصناعة الخواتم والخلاخيل والخناجر والسيوف وبعض أدوات الزينة التي تستخدم في المناسبات. وهذه الأشياء تصاغ من خامات الذهب والفضة والنحاس وغيرها[٣].

(١٠) صناعة السجاد والسلال اليدوية : تعتمد هذه الصناعة على خامات من البيئة المحلية، وهي سعف النخيل حيث يقوم العامل بجمع أوراق النخل ثم تشكيلها بأشكال متعددة. مثل: السلال وما يسمى في المنطقة بالزنابيل، والسجادات التي يستخدمونها لأداء الصلاة، وكذلك السجاد تفرش بها قاعات العشش، وأيضاً المراوح

---

(١) يشوب ما ذكرت يا ربيع شيء من الخلط فمهنة الخياطة والنسيج موجودة عند البادية والحاضرة، وقديماً لا تخلو أسرة من خياطة ملابس أفرادها، وهناك من كان يعمل في مهنة الخياطة من أجل الربح والتكسب . وفي القرن (١٤هـ/٢٠م) كان الناس يستوردون بعض المنسوجات والأقمشة من الأسواق المحلية والمجاورة في بلاد عسير، والقنفذة، واليمن والحجاز وغيرها. (ابن جريس) .

(٢) مهنة الدباغة والخرازة قديمة، مارسها العرب منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي، وهناك مناطق اشتهرت بهذه الصناعة في بلاد اليمن والطائف وتهامة والسراة . وكانت تمارس في بلاد صبيا وجميع مناطق جازان على نطاق واسع، وهناك من اشتهر بممارسة هذه المهنة، كما أن بعض الأسر في مناطق عسير وجازان ونجران كانت مشهورة بدباغة الجلود وصناعتها . (ابن جريس) .

(٣) صناعة المعادن معروفة في عموم بلاد تهامة والسراة . وهذه الصناعة وصناعات أخرى لا يعمل فيها إلا طبقات معينة في المجتمع، وللأسف أن ينظر إليهم على أنهم في مستوى أقل من طبقات المجتمع الأخرى، وهذه العادة ممارسة ومعروفة عند عرب شبه الجزيرة العربية من قبل الإسلام . (ابن جريس) .

اليدوية " المصرفة، " والمجولة التي تستخدم لتحضير الطعام عليها، والمهاجن وهي أكبر من أغطية الرأس أو ما يعرف بالمظلة، وتصنع القفف وتستخدم لحفظ الخبز.

وبنهاية هذا المحور يمكن القول إن جميع هذه الصناعات التقليدية التي كانت سائدة في المنطقة لم تعد هناك حاجة إليها وذلك يرجع للتطور الشامل الذي تشهده المملكة العربية السعودية في شتى المجالات. ووجود صناعات بديلة لهذه الصناعات التقليدية، تتميز عنها بقلة أسعارها وسهولة عملها عن طريق الأجهزة والآلات الحديثة ومازلنا نشاهد الصناعات التقليدية في أسواق المنطقة للعلاقة التاريخية بين السكان وهذه الصناعات بالإضافة إلى اقتناع كثير من السكان بهذه الصناعة.

رابعاً: التجارة:

كانت التجارة في صبيا، تمثل مورداً اقتصادياً مهماً، خاصة وأن موقع المنطقة مشجع على ازدهار التجارة ليس في القرن الرابع عشر الهجري فحسب؛ بل إن شهرتها تعود إلى الوراء قروناً عديدة. والحديث عن التجارة في صبيا، أو في أي قطر من أقطار العالم لابد من الإشارة لعدة عناصر أهمها: الطرق التجارية، والأسواق، والسلع المتبادلة، والأسعار والرقابة عليها، ثم النقود، فالأوزان والمكاييل وهي على النحو الآتي:

الطرق التجارية: تتمتع بلاد صبيا بموقع متوسط فقد تميزت باتصالها بالعديد من الطرق التجارية، ومن أقدم الطرق التي اشتهرت بها منطقة جازان بصفة عامة الطريق التجاري قبل الإسلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ فإحدى هاتين الرحلتين كانت إلى اليمن، وهناك طريق تجاري تمر بالمنطقة إذ أنها المنفذ الأقرب من الحجاز إلى اليمن. ومن الطرق التجارية التي تربط صبيا بغيرها خط جازان- جدة، يمر بمحاذاة الساحل، ويلعب هذا الطريق دوراً بالغ الأهمية إذ لا تكمن أهميته في استخدامه من قبل أهالي المنطقة فحسب بل تزداد الحاجة إليه في مواسم الحج، إذ يمثل معبراً هاماً لأهل اليمن. نحو المشاعر المقدسة، واستعمالهم له قديم جداً [1].

أما الطرق التجارية الداخلية فهي كثيرة، ومنها المسفلتة، وبعضها مازال ترابياً حتى الآن، مثل: طريق صبيا بيش، وصبيا العبدلي، وطريق صبيا الدرب، وصبيا الحقو،

(١) نعم هذا الطريق قديم جداً وقد ذكرته الكثير من كتب التراث الإسلامي وبخاصة كتب الجغرافيا والرحالة، وصدر عنه دراسات حديثة مطبوعة ومنشورة. (ابن جريس).

وصبيا أبو عريش، وصبيا الخوبة وغيرها من الطرق التي ترتبط بمناطق تجارية أخرى[١]. وكانت بعض هذه الطرق الداخلية والخارجية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) لا تخلو من قطاع الطرق الذين كثيراً ما سلبوا ونهبوا دون أن يجدوا أحداً يردهم أو يمنعهم، ومالبث هذا الخطر أن زال بفضل الله تعالى ثم بفضل ملوك المملكة العربية السعودية واهتمامهم بردع هذا الخطر إلى أن أصبحت المنطقة كغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية تنعم بالأمن والاستقرار[٢]. ومن الطرق البحرية تلك التي تربط بين صبيا وجازان وجدة، وطرق أخرى تتصل بمصر والحبشة وإريتريا وغيرها .

كما اشتهرت جازان بالعديد من الأسواق الأسبوعية [٣]. ومدينة صبيا من الحواضر الرئيسية في البلاد الجازانية، ونقصر حديثنا عن سوق صبيا[٤] الذي يقع وسط المدينة[٥]، وهو ذو أهمية كبيرة لأنه يخدم المقيمين داخل المدينة والقرى المجاورة البالغ عددها (٣١٠) قرية مثل الباحرا، وحوئين، والرونة، والسنجة، وجريبه، والجديين، والعداية، والحسيني، وصلهبة . ويسكن مدينة صبيا نسبة لا بأس بها من سكان منطقة جازان حيث بلغ عددهم في تعداد سنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) حوالي (١٣،٤٦٢) نسمة

(١) ذكرت يا ربيع هذه الطرق في بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) واليوم ونحن ندون هذه الملحوظات عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) أصبحت جميع هذه الطرق مسفلتة، بل بعضها أصبحت طرقاً مزدوجة . وأقول إن تاريخ الطرق في منطقة جازان خلال الثمانين عاماً الماضية يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية موثقة، وآمل أن نرى أحد أبنائنا المؤرخين الجادين فيدرس هذا الموضوع دراسة تحليلية توثيقية . (ابن جريس) .

(٢) لم يكن السلب وقطع الطريق مقصوراً على بلاد صبيا أو تهامة وإنما كان منتشراً في عموم شبه الجزيرة العربية، ومن فضائل هذه الدولة الكريمة (المملكة العربية السعودية) أن قضت على هذه الظاهرة، وانتشر الأمن والرخاء في عموم البلاد . (ابن جريس) .

(٣) تشير بعض المراجع إلى بعض أسواق منطقة جازان الأسبوعية، مثل: سوق السبت في بيش . وسوق الأحد في هروب، وأحد المسارحة. وسوق الإثنين في فيفا والحقو. وسوق الثلاثاء في صبيا . وسوق الأربعاء في أبي عريش، والعيدابي، وبني مالك . وسوق الخميس في الخوبة والعارضة . لم نذكر كل الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس).

(٤) لقد زرت منطقة جازان وكتبت عنها عشرات الصفحات في بدايات العقد الثالث من القرن (١٥هـ/٢١م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان،والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) (الجزء الرابع) ص ٢٢٧-٣٠٢ . انظر أيضاً محمد بن أحمد معبِّر. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-ق١٥هـ/ ق٨-ق٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م)، ج١، ص ١٥٧-٢١٠. ج٢، ٦٢٧-٦٩٦ . (ابن جريس) .

(٥) أصبحت محافظة صبيا اليوم من كبريات مدن منطقة جازان، ويوجد فيها عشرات الأسواق الحديثة اليومية، وهي منتشرة في أرجائها . مشاهدات الباحث في بدايات عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) . (ابن جريس) .

وهذا العدد الكبير يشكل قوة شرائية لسوق صبيا، ومعظم تجار السوق من سكان المدينة المقيمين . ويأتي رواد السوق من خارج المدينة بعد صلاة الفجر خاصة يوم الثلاثاء لتوفر كل ما يحتاجونه، فيأخذون بضائعهم التي تكفيهم لأسبوع كامل .

ويقع السوق في وسط المدينة، وتحيط به المنازل من جميع جوانبه، وكانت مساحته تبلغ حوالي النصف كيلو متر مربع والحركة التجارية في هذا السوق لم تكن نشطة في القرن (١٤هـ/٢٠م) كما هي الآن بسبب عدم وجود تنظيم وتوزيع السلع حسب أنواعها . فهناك تداخل بين بعض السلع فترى أصحاب الفاكهة والخضار واللحوم والأسماك في مكان واحد . ومن أسباب تدني حركة البيع والشراء عدم وجود طرق سهلة تربط بين المدينة والقرى المجاورة لها، كما أن وسائل النقل هي: الحمير، والجمال، وكان السوق يعتمد اعتماداً شبه كلي على المصنوعات اليدوية. وفي مطلع القرن(١٥هـ/٢٠م) تم نقل سوق صبيا الأسبوعي إلى جنوب المدينة، وصار وضعه التجاري أفضل مما كان عليه خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م)[١] .

ونلاحظ أن سوق صبيا الجديد مقسم إلى أجزاء عديدة حسب نوع السلع المعروفة، فهناك سوق السمك الذي يقع في الجزء الشمالي الشرقي من السوق وعدد بائعي الأسماك حوالي (٥٠) فرداً معظمهم من القرى الساحلية مثل : السنجة، والقوز، ومنسيه وغيرها، ويباع فيه أنواع كثيرة من الأسماك مثل: العربي، والشعور، والهامور، وأسماك القرش الصغيرة، بالإضافة إلى الجمبري . وتجلب الأسماك إلى السوق عن طريق شركة الأسماك السعودية، أو الصيادين الذين يقومون باصطياد أعداد كبيرة بواسطة مراكبهم الخاصة . وكون الأسماك أكلة شعبية في مدينة صبيا فتقدر الكميات المستهلكة منها في يوم السوق (الثلاثاء) بحوالي طنين ونصف . أما في بقية أيام الأسبوع فتقدر بحوالي (١٥) طناً[٢] .

وتقع سوق اللحوم إلى الشمال من سوق السمك ويقدر عدد تجارها بحوالي (١٢) شخصاً، وتصل كمية اللحوم المستهلكة في يوم السوق حوالي طن واحد، وتقل النسبة خلال أيام الأسبوع الأخرى. ويقع سوق الخضار غرب سوق السمك ويتوسط السوق

(١) يوجد في محافظة صبيا اليوم عشرات الأسواق اليومية، وفيها بضائع متنوعة المصادر والأنواع . وتاريخ التجارة في عموم منطقة جازان يستحق أن يدرس في بحوث وكتب عديدة . (ابن جريس) .

(٢) هذا ما عرفته وشاهدته وسمعته من مصادر عديدة في مدينة صبيا خلال جمع مادة هذا البحث في الشهور الأولى من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). (ربيع) .

وتبـاع فيه جميـع أصناف الخضار مثـل: الكوسة، والباميـة، والطماطم، والباذنجان، والملوخيـة، والبطيخ، والشمام، والفجل، والخيار، والجـزر. وجميع هذه الأصناف تزرع محليـاً، وأحياناً يُجلب إليه مثل البقدونس، والخس، والبطاطس، والملفوف، والجرجير، ويلاحـظ أن معظـم البائعـين في سـوق الخضار هم من سـكان القرى المجـاورة لمدينة صبيا، خاصة القرى الزراعية، ويقدر عددهم بحوالي ثلاثين بائعاً . ويقع سوق الفواكه شمـال سـوق الخضار وغرب سوق اللحوم ويباع في هذا السـوق جميع أصناف الفاكهة، ويقوم مشـروع وادي جازان والمزارع المجاورة بإنتاج بعضـ أصناف الفاكهة مثل: الموز، والبرتقال، والتفاح، والليمون، والباباي، والجوافة، والمانجو . كما تستورد بعض الفواكه مـن أبها، والخميـس، والطائف، ويقدر عدد تجـار الفواكه بحـوالي (٢٥) فرداً وتقدر الكميات التي تباع في الأسواق بخمسة أطنان .

وينقسم سـوق المواشي إلى خمسة أقسام، هي: **(١) سوق الضأن:** ويقع في الجزء الجنوبـي من السوق العام وعـدد التجار لهذه السلعة غير محـدد حسب عملية العرض والطلـب، وله فترات تكـون أثمان الضـأن رخيصة وأخرى غالية، ومعظـم الضأن التي تصـدر إلى السـوق تأتي من القرى . وهناك شخص ينظـم عملية البيع والشراء يسمى (شيخ الضأن) . **(ب) سوق الماعز:** متداخل مع سوق الضأن فلا توجد بينهما فواصل، ومعظـم الماعز يصدر من القرى المجاورة . **(ج) سوق الإبل:** يقع جنوب سوق الضأن، وهـو أصغر أسواق الماشية فلم يعد هناك الحاجـة الضرورية للإبل، وتقدر الكمية التي تبـاع في يـوم السوق بخمسة جمال إلى سبعة . **(د) سـوق الأبقار:** يقع في الجنوب من سـوق الماعز والضأن، والأبقار التـي تجلب إلى السوق محلية، ويتراوح عدد البائعين من (٧ - ١٠) أفراد . **(هـ) سوق الحمير:** يقع في الجزء الغربي من السوق العام، وأهمية هـذه السلعة بـدأت تقل نظراً لتوفر وسائل النقل الحديثـة، والكمية المباعة منها ضئيلة جداً، فهي تتراوح ما بين (٣ - ٥) حمير.

سـوق الفحـم والحطب: في الجزء الغربي من السوق العـام، ويقوم الباعة بجمع الحطـب عن طريق قطع أغصـان أشجار السلم والسدر والأثـل، ويستخدم الحطب في المنطقـة بكميـات كبيرة . أما الفحـم فيصنع عن طريق حرق الحطـب وتغطيته بطبقة خفيفـة من التربة لمدة زمنية تقدر بأسبوع . ويستخـدم الفحم بكميات كبيرة لأغراض عديـدة كطهـي الطعـام وبخاصة الولائـم، ويصدر الفائضـ منها إلى أنحـاء المملكة . والحبـوب مـن السلع الرائجة في سـوق صبيا، ومنها: الدخن، والـذرة، والسمسم . كما

يستورد أنواع أخرى من الحبوب مثل : الدقيق والشعير . وتقدر الكميات التي تباع من الحبوب في يوم السوق بحوالي عشرات الأطنان .

سوق أعلاف البهائم "القضب" : في الجنوب الغربي من السوق العام، وتباع فيه جميع أعلاف الماشية التي تزرع محلياً في مزارع مجاورة، ومنها ما هو مجفف . وهناك سوق النباتات والأشجار العطرية التي تنبت في المناطق الجبلية . وتشتهر المنطقة بهذه الروائح خاصة وأن الناس يستخدمونها في الأفراح، ومعظم مناسباتهم الاجتماعية . والنساء يقمن بوضع هذه النباتات على الرأس، وتصدر منه رائحة جذابة، وأهم هذه الروائح هي: الفل، والكادي، والزعتر، والواله، والبعيثران، والياسمين . كما يوجد في السوق بعض الشباب وصغار السن الذين يعتنون بتربية وبيع الطيور مثل الدجاج، والحمام، والبط، والإوز وعددهم يتراوح من (٣٠-٤٠) شاباً[١].

وهناك بعض السلع المحلية كالحبوب، والماشية، والأدوات الصناعية التقليدية تباع لسكان المنطقة، وبعضها تصدر إلى أسواق مناطق جازان الأخرى، وربما أرسلت بعض الحبوب إلى أسواق الحجاز. وقد سمعت من بعض الرواة في مدينة صبيا أن الحياة كانت صعبة، والناس يعيشون عيشة الكفاف، وفيهم الفقراء والمحتاجون، ولا يخلو المجتمع من تجار يمارسون مهنة التجارة المحلية .

وسلع كثيرة يتم استيرادها من أسواق جازان والقنفذة وعسير وبعض مدن اليمن والحجاز مثل: الأقمشة والمنسوجات، وبعض الأواني المنزلية، والألبسة والملاحف، ومن البضائع التي تصدر إلى أسواق صبيا . الأطعمة والأشربة كالبن، والأرز، والسكر، والشاي . وهذا ما وجدته في بعض وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م)، حيث كان هناك تجار كبار في حضرموت، والقنفذة، وجدة، ومكة، وأبها ورجال ألمع يعملون على توريد العديد من السلع إلى مدينة جازان، وصبيا وما جاورها[٢].

والأسعار ليس لها معيار ثابت فترتفع في فترة وتنزل في أخرى، وذلك يرجع لعدة أمور منها : نوع البضاعة، وكميتها، ووفرتها في السوق، بالإضافة إلى الجهد المبذول في

---

(١) رصدك يا ربيع لابأس به لكنه مازال يحتاج إلى تفصيلات وتحليلات أكثر، وأرجو أن نرى من المؤرخين والباحثين الجادين من يدرس تاريخ أسواق صبيا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) دراسة علمية جادة . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ البيع والشراء والصادرات والواردات في منطقة جازان خلال العصر الحديث من الموضوعات الجديدة الجديرة بالبحث والتوثيق . (ابن جريس) .

الحصـول عليها، فمنها المستوردة، وأخرى محلية . ونظراً لندرة المصادر التي تساعدنا في معرفـة الأسعار الموجـودة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، فإننا اعتمدنـا اعتماداً شبه كلي علـى كبار السن في هذا المجال[١] . فـكان كيس الدقيق بعشرة ريالات عربية، وهو غالي الثمـن لأنـه يستورد من مناطق أخـرى. والبر يبلغ ثمن الكيس منه عشـرة ريالات . أما السمـك فنظـراً لتوفره فالشخص يستطيـع أن يشتري ما يكفي ليومـه بثلاث ريالات . ورطل اللحم يباع بخمسة أو عشرة ريالات أحياناً، وهي أسعار متوسطة[٢] .

والعملة المستخدمـة في البيع والشراء الريال الفرنسي وهو قطعة معدنية مصنوعة مـن الفضة، ويسمى عند أهل المنطقة باسم (ريال بوش) . وهناك الريال العربي وهو أيضـاً مصنوع من الفضة، ثم تطور الوضع وظهرت العمـلات الورقية كالريال الورقي، ومنـه الهللـة وهي قطعة معدنية، ومائة هللة تساوي ريـالاً، وكذلك الربع ريال والنصف ريـال، وجميعها معدنية، وظهـرت الخمسة والعشرة والخمسـون، والمائة، والخمسمائة ريال وكلها نقود ورقية وهي مستعملة حتى الآن[٣] .

كان في المنطقـة أدوات محدودة لـوزن أو كيل الحبوب وغيرها من المنتجات الجافة مثـل: المد الـذي يساوي ثلاث أقق، والصاع يساوي أربعة أمـداد، والفرق ويساوي ثلاثة أصواع أو اثنتي عشر مداً [٤] . وينقسم الصاع إلى نصف الصاع والربع، وجميع المكاييل في وقتنـا الحاضـر، يتم صناعتها من الخشب. ثم ظهـور الميزان، لكن ليس المعروف في وقتنـا الحاضر، وذلك الميزان يتكون من كفتـين، ويوجد معها عدة قطع حديدية ووزنها رطـل ونصف رطل وربـع رطل وتستعمل كل قطعـة منها حسب الحاجـة وحسب الكمية المطلوبـة . أمـا أدوات القياس المستخدمة الآن كالمـتر والكيلومتر تعـرف يعرف إلا في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري، وكان يتم قياس الأراضي والأماكن التي

---

(١) أصبحـت محافظـة صبيا اليوم مـن كبريات مدن منطقة جـازان، ويوجد فيها عشـرات الأسواق الحديثة اليوميـة، وهـي منتشـرة في أرجائهـا . مشاهـدات الباحـث في بدايـات عـام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) . (ابن جريس) .

(٢) وافانـا بهـذه المعلومـات الأخـوان محمـد علي عطيـة ومهدي علـي عطية وهما مـن أهـالي المنطقة في (١٤١٣/٥/٢٤هـ) . (ابن جريس) .

(٣) دراستـك يـا ربيع عن الأسعـار والأجور قليلة وناقصـة، حيث كان هناك حركة تجارية جيـدة، وقد واكبها الكثـير من عمليـات البيع والشراء، وهناك الكثير مـن الوثائق والرواة الذين عاصـروا زمن البحث، وكان يجب عليك بذل جهود أكبر حتى تدون لنا صورة واضحة ووافية عن تاريخ الأسعار آنذاك . (ربيع) .

(٤) غيثـان بـن علـي بن جريس . بـلاد بني شهر وبني عمـرو خلال القرنـين الثالث عشر والرابـع عشر . ص (١٢٥). (ربيع)

تقام عليها البيوت بالأقدام أو الخطوات ويطلق عليها (الذراعة) ويسمى أصحابها من أهل المنطقة بسم (الذراعين) ومازالت هذه التسمية موجودة إلى وقتنا الحاضر. **وللقطع الزراعية أسماء مثل**: **المعاد :** وهي مساحة متعارف عليها لدى أهالي المنطقة. **والقيراط :** وهو أكبر من المعاد . **والزهب :** وهو قطعة أرض محاطة من جميع الجهات[1]. أما قياس الملابس والقماش فقد يستخدم الذراع، أو الشبر، أو قطعة حديدية طولها من (٧٠-٩٠) سم .

خامساً: بعض المعوقات الاقتصادية :

نذكر بعض العقبات التي وقفت مانعاً ضد التطور الاقتصادي في بلاد صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري وهي على النحو الآتي: **(١) الرياح الموسمية :** والمعروفة عند أهل المنطقة بـ (الغبرة) ، فلها آثار سلبية على الزراعة، وأحياناً تقضي على المواشي، وتعوق الناس عن الحضور إلى الأسواق فتراهم يحتمون منها في منازلهم ،وكل ذلك لا ينفي فضل هذه الرياح في حمل حبوب اللقاح بين النباتات، وهذا يحسب فائدة وليس معوقاً، إلا أن هذه الفائدة لا تقارن ببقية الأضرار . **(٢) السيول الجارفة :** التي تقضي على الناس وتهدم المنازل وتأخذ معها الحيوانات وتخرب المراعي والمزارع. ولم يكن الإنسان يستطيع أن يعمل شيئاً تجاه هذا الضرر. أما في وقتنا الحاضر فقد تم التغلب على هذه المشكلة عن طريق بناء السدود التي تحفظ مياه الأمطار والسيول والاستفادة منها قدر الإمكان، ولم يعد هناك خطر على الناس أو الحيوانات إلا في بعض المناطق الجبلية . **(٣) الجراد :** حشرة معروفة ومشهورة في المنطقة منذ قديم الزمن، وقد سجل الأهالي عدة مواقف ضد هذه الحشرة التي تكون أفواجاً وتهجم على المزارع وتدمرها وعانوا منها كثيراً، لكن في هذا العصر تغير الوضع وتمكن الإنسان من التغلب على الجراد عن طريق استخدام المبيدات الحشرية حيث يتم رش المزارع فلا يستطيع الجراد إتلاف الزروع وإذا أكلها فإن مصيره الهلاك . **(٤) القرود :** تمثل خطراً على مزروعات الناس، وقد عانوا من ذلك كثيراً . **(٥) السرقة :** وهذه المشكلة عانى الناس منها وكانت منتشرة خلال القرن الرابع عشر، وبعد إنشاء مؤسسات الشرطة والقضاء في عهد الملك عبد العزيز بدأت تقل حتى تلاشت .واللصوص هم عماد هذه العقبة، فكانوا يسرقون المواشي والأطعمة والملابس ويقتلون أصحابها إذا لزم الأمر، وكانت أماكنهم في المناطق الجبلية أو الصحاري التي تقع على طرق تجارية هامة تمر بها

(١) مقابلة مع جهر حسن معروف ـ أحد رعاة المنطقة في (١٤١٣/٦/٢٥هـ). (ربيع) .

القوافـل، وأحيانـاً داخل القرى والأرياف . **(٦) القحـط :** كانت منطقة صبيا كغيرها من المناطق الأخرى تتعرض لمجاعات ولجفاف الأرض وقلة نزول الأمطار فتقل الأغذية ويـزداد غلاء المنافع وربما يذهب البعض لأكل لحوم أشياء محرمة . **(٧) الأمراض :** ونقصـد بها الأمراض المعدية التي عانى منها الإنسـان أو الحيوان كالطاعون والجدري والملاريـا (الحمـى) وغيرها . ونظـراً لعدم توفر الرعاية الطبية فقـد راح ضحية هذه الأمراض كثير مـن الناس والحيوانـات. **(٨) هناك معوق اقتصـادي كلف المنطقة الكثـير وأثـر على الاقتصـاد تأثيراً كبـيراً جداً وهـو شجر القات**، وهـذا النبات معـروف في المنطقـة منذ زمن قـديم، ومنه ما يـزرع في المناطق الجبليـة أو يستورد من الأراضي اليمنية المجاورة للمنطقة . وقد لعب القات دوراً كبيراً في ضياع الأموال وضياع الوقـت حيث أن الشخص يجلس أكثر من خمس ساعات في اليوم يمضغ هذا النبات دون أي عمـل ولا نجـد بيتاً مـن بيوت المنطقة إلا ويوجـد فيه على الأقل شخصـ أو أشخاص يتعاطون هذا النبات . وقد بذلت الحكومة جهوداً كبيرة في إنقاذ الأهالي من هذا النبات وآثارها السلبية [١] .

(*) وخلاصـة القـول: هذا ما استطعـت مناقشته في هذه الورقـات، ولا أدعي الكمال، وإنما هي صـور حضارية وضحت فيها بعض الجوانب الاقتصادية التي تميزت بهـا بلاد صبيا خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، مع أن هذه الناحية لم تنل حقها من البحث والدراسـة والتوثيـق، وآمل أن أجد الوقـت الكافي حتى أتوسع في هـذا الموضوع وأدرسه دراسة وافية في هيئة كتاب علمي موثق[٢] .

(١) ياربيع لقد أشرت إلى العديد من المعوقات، لكن مدوناتك مختصرة جداً، مع أن كل معوق يستحق أن يدرس في بحوث عديدة . ونأمل أن نرى من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتوثيق . (ابن جريس) .

(٢) آمـل يـا أستاذ ربيع أن تفي بوعدك، فهذه بلادك ومسقـط رأسك، ولها واجب عليك أنت وأمثالك فتسعون إلى حفظ تاريخها وتراثها وحضارتها . (ابن جريس) .

ثالثا: صور من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حاضرة صبيا خلال القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي. بقلم أ. خالد عبدالله عبده عقيلي وآخرين [1].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	الحياة الاجتماعية	٣٦٩
	١. المجتمع والأسرة	٣٦٩
	٢. صور من العمارة	٣٧٠
	٣. الأطعمة والأشربة	٣٧١
	٤. الألبسة والزينة	٣٧٣
	٥. عادات الأعياد، والزواج، والختان، والمآتم	٣٧٤
	٦. عادات وتقاليد أخرى	٣٨١
	٧. الطب والتطبيب	٣٨٧
	٨. بعض الألعاب الرياضية والتسالي	٣٨٩
ثانياً:	الحياة الاقتصادية	٣٩٠
	١. الرعي والصيد	٣٩٠
	٢. الزراعة	٣٩٢
	٣. المهن الصناعية والحرف التقليدية	٣٩٥
	٤. التجارة	٣٩٧

(١) كان عنوان هذا البحث سنة إعداده: عام (١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٩-٢٠٠٠م) مخلاف صبيا (دراسة تاريخية حضارية مختصرة) (خلال القرن ١٤هـ/٢٠م). وهو بحث تخرج في السنة الرابعة بقسم التاريخ، كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود. قام بإعداده أربعة طلاب هم: خالد عبدالله عبده عقيلي (ورد ذكره أعلاه)، وعلي مساوي حسن صديق، ومحمد يحيى أحمد، ومساوي محمد الزاهد النعمي. ويقع البحث الرئيسي في (١٦١) صفحة. اشتمل على مقدمة ونبذ مختصرة عن جغرافية وتاريخ صبيا السياسي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد استبعدنا تلك المقدمات وركزنا على الحياتين الاجتماعية والاقتصادية المدونة في صلب البحث الأساسي وتقع في (١٥٢) صفحة، وأجرينا أيضاً بعض التعديلات والحذف والإضافة على هذه الصفحات المعتمدة والمنشورة في هذا السفر الذي بين يدينا. (ابن جريس).

أولاً : الحياة الاجتماعية :

١ـ المجتمع والأسرة :

إن مجتمع منطقة صبيا متماسك تحكمه الأعراف والتقاليد وتسير جميعها على قوانين ألفها الناس فساروا عليها منذ القدم وحتى الآن، والأسرة جزء من هذا المجتمع الكبير. وقد أجرينا مقابلة مع الشيخ أحمد السيد أبو طالب [١] . فقال: " كان إذا قتل شخص لا سمح الله من أهل المخلاف قبل الحكم السعودي يهب أهل المخلاف كرجل واحد مطالبين بدمه ولا نهدأ حتى نأخذ بدمه أما الآن فالحمد لله عم الأمن، وأصبحت الدولة هي التي تأخذ الحق من الظالم، وعن التنظيمات الاجتماعية التي كفلت لأهل منطقة صبيا ترابطهم سألنا الوالد محمد بن علي القبي[٢] . أحد القائمين على أسرة آل القبي وكبيرهم فقال: مازال أهل صبيا يرتبطون بقوانين وأعراف كفلت لهم ترابطهم مع الأسر والقرى والقبائل وسنعطي مثالاً على الملحاء حاضرة المخلاف وأكبر قبائلها وهي تتكون من ثلاثة مراكز كبرى، هي: (أ) مركز السادة . (ب) مركز الأشراف . (ج) مركز العرب . فأما مركز السادة فكان أول شيخ لهم فيما يروي الشيخ سلطان بن محمد من آل أبي العيد، ثم توفي وعينوا الشيخ محمد لاقي أبو العيد، وبعده اختاروا الشيخ محمد بن يحيى شبير أبو العيد، ثم شيخهم الحاضر إلى كتابة هذه السطور هو الشيخ شوعي بن محمد شبير من آل أبي العيد ومنزله في أبي السلع، ويتبع لهذا المركز أسر عديدة منها: الربحة، وآل مشني، وآل أبو العيد، وآل علي بن أحمد (القباب) ، وآل آبة هادي، والطوالبة، وآل العماري (آل زين وآل أبو ماطر) ، و آل أبو حية، وآل حيدر، وغيرهم [٣] .

مركز الأشراف : فكان أول من عرف من مشايخهم، علي أبو طالب عطيفة، وأحمد حسين عماري، ويحيى بن إبراهيم معافا، وأحمد أبو طالب عطيفة، ومحمد حربوش، وعلي بن محمد حربوش. وحسين بن علي محمد حربوش وهو شيخهم الحالي[٤]، ومن الأسر التابعة لهذا المركز الحرابيش، والمشبرة

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد السيد أبو طالب بتاريخ (١٤١٩/٨/١٣هـ) بقرية الملحاء في حاضرة صبيا (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن علي القبي مساء (١٤١٩/٨/١٣هـ) بقرية أبو السلع في منطقة صبيا. (عقيلي وزملاؤه).

(٣) مازال هناك أسر وفخود أخرى حبذا أن يدرس هذا الموضوع دراسة أعمق (ابن جريس) .

(٤) أي سنة إعداد البحث الرئيسي عام (١٤١٩-٢٠هـ) . (ابن جريس) .

(الخويري والصرقعي وآل زريقان) ، وآل معافا ، وآل عطيفة والمثمي، والدباعية، وآل دهوان منهم حسن طعنون ومنهم آل بن دريب، وآل منصور خريش، وآل أبو الزواید، وآل مقدام منهم الجناوي وقومه، وبيت آل الفلقي ومنهم آل جماح وغيرهم .

وأما المركز الثالث : (العرب) كان من أوائل شيوخهم : حسن بن منيف، ومطاعن بن حسن جبروت، وعواجي بن حسن جبروت، وعواجي بن حسن النعمي، والشيخ الحاضر[١] . وهو علي عواجي النعمي، ومن الأسر التابعة له :آل شيخين، والزينة ومنهم آل شبير وآل العباسي، وآل هندي، والعطافة ومنهم آل عبد الله، وأحمد الشيخ، وآل عقاري والدوامرة والمراوعة، والنعامية ومنهم : الزوابعة، وآل بن مخلفع، وغيرهم [٢] .

ولكل مركز أعراف خاصة به وإذا حدث وأن ابتلي أي فرد من هذه المراكز واستدعى أن يكون عليه دين أو دية أو نفقة علاج أو غيرها يقوم مركزه بدفع النصف من المبلغ والنصف الآخر يوزع على المراكز المجاورة، ويقوم زعماء المراكز بتوزيعها على رؤساء الأسرٍ وهم يبلغون أفرادهم فيدفعون المبلغ المحسوب عليهم، وأي فرد لا يدفع يكون خارجاً عن هذه المراكز، ولا يحسب له أي حساب .

ولمركزي السادة والأشراف نظام لا نحبذه إلا أنهم مازالوا مستمسكين به حتى الآن وهو أنهم لا يزوجون مركز العرب مهما حدث ويتزاوج السادة والأشراف فيما بينهم، وإذا حدث وأن أراد العربي الزواج من عند السيد أو الشريف، ووافق السيد أو الشريف هبت عليه القبيلة بما فيهم عربهم ينكرون عليه ذلك، وأما الأراضي فهي توزع حسب المراكز، لكل مركز قسم من الأراضي، ولكل أسرةٍ كبيرها يحكمها وأفرادها، وعليهم أن يطيعوا أوامره، ويجتمعون كل أسبوع يوماً وغالباً ما يكون الجمعة .

٢ـ صور من العمارة :

كانت حياة السكان في منطقة صبيا بسيطة، فكانوا يعانون من شظف العيش وانعكس ذلك على مسكنهم، فهم يسكنون أبنية متواضعة، وقد سألنا الشيخ حسين جابر خويري[٣] . عن ذلك فقال " كانت مبانينا بسيطة فكل على قدر حاله، فميسور الحال لديه عشة أو عشتان، واحدة للسكن والأخرى للضيوف، ومتوسط الحال عنده

(١) يقصد بـ (الحاضر) عام (١٩-٢٠هـ) . (ابن جريس) .
(٢) هذه الأسر والفخوذ نماذج، ومازال هناك أسر أخرى عديدة تتبع لهذه التركيبة الاجتماعية . (ابن جريس) .
(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ حسين جابر خويري بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٣هـ) بقرية الخوارية، في حاضرة صبيا . (عقيلي وزملاؤه) .

عشة واحدة وصبل، ويبني أساس العشة من (العرج والسرح والقضب والمض) وتغطى من فوق بالثمام والمرخ ويربطون عليها بالحبال التي تصنع من سعف الدوم . ويغشيها سبعة أو ثمانية أشخاص وأثناء البناء يرددون بعض الأناشيد للتسلية، مثل:

أربعة شلّو الجمل والجمل ما شلّهم

وتكون العشة مثلثة الشكل (مخروطية) في أعلاها عصى تسمى القرعينة وتبلط أرضيتها او تقضض بروث البقر المخلوط بالطين والماء، ومن داخل العشة تزين بالأواني وتلبد بالطين، وتدهن بالنورة، ويركب فيها رفوف لوضع أدوات البيت عليها، وهناك حبل ممتد من أعلى العشة حتى يصل منتصفها ويربط به عود طويل قوي من الحطب تعلق به الملابس والأطعمة، حتى تكون بعيدة عن متناول أيدي الأطفال والمواشي ودواب الأرض . وهذا في عشة السكن، أما عشة الضيوف فهي تزين بالكراسي والقعائد والشباري . والصبل صغير للجلسات العائلية، ويبنى المطبخ من الدوم وخشب السمر والأثل والمرخ، ولا يحتاج في بنائه سوى شخصين أو ثلاثة فهو سهل البناء . والجهو يبنى من الحجارة التي تجلب من الجبال، ويبنى أيضاً من الخلب (الطين والتبن والماء)، وهو مستطيل الشكل ويسقف بالدوم، ثم يوضع عليه الخلب وتبلط أرضيته . والخدور: وهي لمن حالهم ضعيف وفقراء، وهي قطع من القماش أو العجار من الطفي وسعف النخل والدوم، وتوضع فوق شجر السمر يتظللون تحتها ويسكنها البدو[١] . ومع التطور الحديث تغيرت الأوضاع وازدهرت المباني وأصبحت تشيد الفلل والعمائر وظهرت حركة عمرانية مزدهرة في المخلاف، وفي كل يوم وهي في نماء وازدهار .

٣ـ الأطعمة والأشربة :

كانت الأطعمة والأشربة في بلاد صبيا متواضعة وبسيطة لضآلة الحياة المعيشية وقلة الدخل المادي، ومعظمها من مزارعهم، وعن الأشربة حدثنا الوالد حسين جابر خويري[٢] فقال" كانت الأشربة في السابق محدودة، فالماء نجلبه من (البئر)، والبئر يتراوح عمقها ما بين (٨ - ١٥) قامة أي ما تقارب (١٠ - ١٩متر)، ويشرب الناس في إناء يدعى (الصحفة)، وأحياناً يحفرون في الوادي ما يسمى بالفضيَّة وهي حفرة

(١) تفصيلات محدودة وكنت آمل أن تكون أطول وأعمق . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة :دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٥٨٣٧ . (ابن جريس) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ حسين جابر خويري بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٣هـ) بقرية الخوارية .(عقيلي وزملاؤه) .

بسيطة تحفر بجانب الماء الغير صالح للشرب ثم تصفى وتنقى حتى تصبح صالحة للشرب. ومصدر اللبن من الإبل أو البقر أو الغنم، وكان الرجال أو النساء على حد سواء يقومون بحلب اللبن من تلك البهائم، ويشرب مباشرة بارداً أو ساخناً، أو يشرب مع العيش الحالي الغير مخمر. والقهوة من أهم المشروبات وتشرب ساخنة، وهي عدة أصناف منها الحامض التي تحضر عن طريق الماء المغلي والبن، والقهوة الحالية تحضر بالماء المغلي والقشر. والشاي لم يكن متوفراً في بداية القرن الرابع عشر الهجري وربما يوجد في بيوت الأثرياء، وعند إعداد الشاي تظهر له رائحة تُشم في كل القرية، وذلك يدل على غرابته وندرته، ويعمل بالماء الساخن والشاي والسكر، ويشرب زائداً أو متوسطاً أو قليل السكر حسب رغبة الشخص، وحالياً يقدم للضيوف مع القهوة . بالإضافة إلى بعض المشروبات الأخرى من العصائر" .

وعن الأطعمة وكيفية إعدادها حدثتنا الوالدة ذرعة بنت يحيى مشبري فقالت : (١) **العيش (الخمير) :** يصنع من الذرة المطحونة بالمطحنة، ثم يعجن ويخمر ليوم حتى يصبح جاهزاً، ثم يوضع في التنور حتى ينضج، **(٢) الثريث :** يصنع من اللبن والذرة أو الدخن ويفتونه أي يدكونه حتى يصبح ممزوجاً باللبن، ويوضع عليه السمن أحياناً والسكر، وهو من أشهى الأكلات في عموم منطقة جازان. **(٣) الحامض :** يعمل من الذرة المخمرة المطحونة ويفتونها ويمزجونها مع ورق الغلف المطبوخ، ثم يمزج باللبن المخضوض (الحقنة) ويرشون عليه السمن والشحم واللحم، ولا تخلو وليمة منه ويوضع في الحيسية[1] . **(٤) المرزوم :** يصنع من الحنطة ويمزج بالسمن والعسل، وهي أكلة حلوة تؤكل قبل أكل الحامض . **(٥) المرسة :** يصنع من الدقيق والموز، يدق الدقيق حتى يصبح قطعاً صغيرة ثم يوضع عليه الموز ويمرس، وأحياناً يوضع عليه السكر وتمرس المرسة حتى تصبح لينة مع الدقيق ثم يوضع عليه السمن والعسل. **(٦) اللحوح :** من الذرة المخمرة الخفيفة تصب على لوح معدني موضوع على النار حتى تجهز فتكون رقيقة ثم تؤكل مع المرق. **(٧) الحنيذ :** هو اللحم المحنوذ في التنور أو ما يسمى عندنا بالميفى . **(٨) المحشوش :** يعمل فقط في عيد عرفة يقطع اللحم إلى قطع صغيرة بحجم الحصاة، ثم يوضع بالقدر مع الشحم المقطع إلى قطع صغيرة ثم تقلى مع اللحم حتى يصبح محشوشاً . **(٩) المغش أو البرمة :** يتكون من ماء وطماطم وبطاطس وبهارات ويوضع به لحم ثم يوضع في التنور حتى يكون ناضجاً[2] .

---

(١) مقابلة شخصية مع كبار المسنين من السيدات بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) في حاضرة صبيا . (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) ماذكر نماذج من الأشربة والأطعمة في منطقة صبيا، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس) .

٤ـ الألبسة والزينة :

يرتبط اللباس في صبيا بما تمليه الظروف البيئية والاجتماعية من مناخ وعادات مختلفة، ويقول حسن جابر خويري " إن الناس يلبسون الوزرة والسميح ويضعون على رؤوسهم عمامة أو مظلة تقيهم من الشمس، أيضاً يلبسون المثلوث والمصنف والحوك، ويلبسون البردة اليمنية والصدرة، والمآزر إلى ما تحت الركبة وتصل حتى منتصف الساق، ويحتزمون بالجنبية وهي ذات كتل طويلة، أو الجوفي المصدر التي تصل حتى منتصف الصدر، ويضعون على رؤوسهم ربطة أو عصبة تزين بالفل والكادي الملفوفة مع العصبة وبعضهم يضع شالاً على رأسه والبعض يضع قبوعاً يصنع من الطفي، وهو من شجر الدوم، لكي يتظللوا به على الرأس والبعض يترك الرأس بدون عمامة مكتفياً ومتباهياً بشعره الطويل، الذي يسمونه جهفاً، ولم تكن توجد ثياب حتى جاء العهد السعودي وعرفت الثياب والشماغ والغترة والعقال وتفننوا في لبسها"[١] . وعن اللبس في جازان وصبيا وما حولهما، يذكر أحدث الباحثين في العصر الحديث قوله : " أما تهامة فكان الناس في المخلاف السليماني يلبسون مآزر من الخام يضيف إليها المسنون منهم صدراً من " البفتة " أو " الدبيت " الأسود، كما يغطى الشيوخ رؤوسهم بقبعات من الخيزران تلف بعمامة سوداء، تعرف بالمصر غير أن سكان المدن يلبسون المآزر الجوكي وصدراً من "البفتة " البيضاء، كما يلبس الأغنياء ورؤساء القبائل ثياباً طويلة تكتنفها مآزر من " البفتة " ، ويضعون على رؤوسهم العمائم"[٢]، ويستطرد قائلاً : " ومما يتسم به اللبس في تهامة ذلك المظهر المميز فيما يلبسونه من صدر تفننت الأيدي والأذواق في تنميقها، ثم في تلك المآزر القصيرة التي تصل في الغالب إلى أسفل الركبة، وكذلك الأحزمة التي تربط بها خواصرهم، ويتمنطق بها الرجال منهم المعروفة بالجنبية، كما يتسم الرجال بتركهم رؤوسهم حاسرة، وقد أسدلت شعورهم على مناكبهم في تنظيم رائع جميل، حيث لفت بعصابة نقشت بالفضة وأقيمت حولها الأزهار والرياحين . أما النساء فكن يلبسن وزرة وسترة وقطاعة يضعنها على رؤوسهن، وكن يتزين ويلبسن أساور الفضة، وهي أوضاح يضعنها في أيديهن ومسك، وحلقة يضعنها في آذانهن وحجور وخلاخل في أرجلهن، وكان لملابسهن نقوش زاهية وجذابة . وتلبس نساؤهم الوزرة والقميص، بينما يغطين رؤوسهن بخمر تعرف بالمضالم، " ولقد كان للنساء أردية يضعنها على ظهورهن

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ حسن جابر خويري يوم (١٤١٩/٨/٢٠هـ) بقرية أم القضب .(عقيلي وزملاؤه) .
(٢) عبدالله محمد أبو داهش، الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي السعودية، ط٢، ص ٢٦.٢٥ .

تعرف بـ (المزار) ويقل عنها حجماً أنواع أخرى من الأردية كالنطع والمقصر، ومن أحزمة النساء النسعة والسبتة والمكفة . ومن أهم زينة النساء أيضاً الحناء ينقشنها نقشاً بتشكيلات جميلة، وهن يعملنه في أيديهن وأرجلهن، كذلك الكحل في عيونهن، وتصف المرأة شعرها وتفرقه من المنتصف، ثم تضع عليه الفل والكادي[١] .

٥- عادات الأعياد، والزواج، والختان، والمآتم :

الأعياد عند العرب قديمة، وفي الأديان الأخرى أعياد معظمها من استحداث البشر وحتى الوثنيون لهم أعياد . أما الشريعة الإسلامية فقررت لنا عيدين، هما عيد رمضان المبارك (عيد الفطر) وعيد الأضحى. إضافة إلى يوم الجمعة وهو عيد المسلمين الأسبوعي . واستمر ذلك عبر أطوار التاريخ الإسلامي وفي منطقة صبيا يحدثنا عبده مصعود عن عيد الفطر فيقول[٢] : " عيد رمضان عيد المسلمين الكبير يدخل منذ يوم الوقفة الكاذبة (ويقصد بها ليلة الثامن والعشرين) ، ربما يطلقون عليها اسم الوقفة لأن معظم الناس توقف أعمالها أو تؤجل معظمها إلى بعد العيد، ثم ينشغلون بالجمع والترتيب لاستقبال العيد، وفي الليلة التي تسبق يوم العيد تسمى (الوقفة الصادقة) . وتصبح القرية مثل خلية النحل، فالرجال في الطرقات إلى الأسواق، والنساء في الترتيب والتنظيف للمنازل، وبعضهم في الزيارات، ويلعبون أهل القرى وتضرب الطبول، ويفرح الصبيان حتى وقت متأخر من الليل، يتبادل الناس التهاني والتبريكات. وفي الأسواق يكون الرجال مشغولين بجلب ما يستطيعون من ملابس لهم ولأبنائهم وبناتهم وزوجاتهم، ويكسون أبناءهم وأمهاتهم . وتشمل الكسوة جميع أفراد الأسرة، ويشتري الرجل لنفسه إزاراً جديداً (حوك) ورداء (شميز) وعمامة إن كان كبير السن، أو يصنع لنفسه طوقاً من نبات الزينة ولاسيما البعيثران أو فل وغيره، وتصنع النساء عقود الفل ويضعن ما يسمى العضية (الطيب ومسحوق نباتات عطرية) ويضعن الكحل في العيون، ويحضر الرجال معهم من السوق الطعام المخصص لإفطار العيد وأهمها العسل والجزائري "[٣] .

---

(١) تاريخ اللباس والزينة في صبيا أو عموم منطقة جازان من الموضوعات الحضارية المهمة، ويستحق أن يدرس خلال القرون الثلاثة الماضية، ومن يقوم بذلك فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين فضلا كبيراً، وآمل أن نرى من مؤرخي منطقة جازان من يدرس تاريخها وحضارتها في العصر الحديث والمعاصر. (ابن جريس) .

(٢) مقابلة مع عبده مصعود في قرية أم القضب (١٤١٩/٨/١هـ) (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) الجزائري : سمك يملح ويحفظ في التربة ثم يخرج بعد فترة وقد أصبح طعمه حامضاً ويؤكل مع المرسة وهي البر والعسل والسمن . (عقيلي وزملاؤه) .

وفي الصباح يقوم الناس بتوزيع زكاة أموالهم ويذكر ابن مصعود " أنها في زمانهم كانت من القمح أو الدخن أو الشعير أو الحنطة، وقلة من يزكون نقداً " [١] . وغالباً يكون مؤذن القرية قد بكر إلى مكان فسيح تم تحديده مسبقاً ويبدأ بالنداء وبعدها يجلس ويتوارد الرجال ومعهم صبيانهم والبعض يحضر معه مصلاة من الألياف، أو أوراق الدوم، تخرزها النساء في البيت، وبعضهم يأتي بدونها ويجلسون بجانب بعضهم ويبدأون بترديد (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد). وتسمع لهم همهمة من بعد، ثم يأتي خطيب القرية ويخطب بالناس، وبعدها تقام الصلاة ويصلي بهم الإمام، وبعد التسليم يبدأ الناس في السلام على بعضهم وتبادل التهاني والأدعية ومنها (بارك الله لكم عيدكم) وأطال الله عمركم، والدعاء ببنت الحلال وبالحج والتمدينة (زيارة المدينة) . وينصرف الناس بعدها إلى منازلهم وفي الطريق لا يتركون منزلاً دون المرور بأهله والسلام عليهم، وتكون النساء قد تجهزن في المنازل لاستقبال أهاليهن، وبعد أن يسلم كل رجل على أهله يبدأ المنادي بالإفطار الجماعي، حيث يخرج كل رجل ما قد أعده أهل بيته من طعام متوفر ويجتمع أهل كل حارة في حارتهم في مكان مظلل خارج البيوت ولا يبدأون الأكل حتى يستكمل جميع سكان الحارة . ويبدأ كبير القوم بالبسملة ثم الأكل وبعدها يأكل الباقون . ومازالت هذه العادة إلى الآن . وعندما سألت عبده مصعود عمن استحدث هذه العادة قال لا أدري يا بني، "فلقد وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " [٢] . أما عيد الأضحى فلا تجري له استعدادات كالعيد الأول، وقد أجرينا مقابلة مع الوالدة (زينب بارود) [٣] . وسألتها عن سبب عدم اهتمام الناس بصورة تصل لاهتمامهم بعيد الفطر فقالت معظم الناس يكونوا (هامين[٤] . أهاليهم الذين ذهبوا للحج) وتجري في هذا العيد نفس مراسم العيد السابق باستثناء الشراء الكثير، وفيه يضحي الناس، وكل يذبح لنفسه، وفي الليل يقومون بإعداد (المحشوش) ، وهو وضع قطع اللحم مع الشحم في قدر كبير بدون ماء ويحرك حتى يتحمر وتضاف إليه البهارات والتوابل، وعندما يبرد يتجمد الدهن، ثم يحفظ لمدة تصل إلى شهر أو أكثر . وفي يوم الجمعة يتبادل الناس السلام بعد الصلاة مباشرة والتهاني بالصحة والعافية، والآن يكتفون بالمصافحة لمن وجد في الطريق .

---

(١) مقابلة مع عبده مصعود / أم القضب في (١٤١٩/٨/١هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة مع الوالد عبده مصعود / أم القضب في (١٤١٩/٨/١هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٣) مقابلة مع الوالدة زينب بارود في قرية أم القضب في (١٤١٩/٨/٣هـ) .(عقيلي وزملاؤه) .
(٤) هامين : أي قلقون وخائفون على أقاربهم الذين ذهبوا للحج . (عقيلي وزملاؤه) .

وقبل الحديث عن عادة الزواج ومراسيمه في صبيا أود الإشارة إلى أن الدكتور غيثان بن جريس ناقش هذه العادة في كتابه : **عسير- دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ)**[١]، ودرس عادة الزواج من كل الجوانب في منطقة عسير، والذي أراه أن هذه العادة في منطقة صبيا لا تختلف شيئاً عما ذكره ابن جريس إلا في بعض المسميات، وهنا نذكر شيئاً من التفصيل عن مراسيم الزواج في بلاد صبيا وما جاورها، فعندما يرغب الشاب في الزواج سواءً من أقاربه أو من بنات قريته، أو من بنات القرى المحيطة به . وأكثر ما يحصل في زواج الأقارب أن يكون الآباء قد اتفقوا على زواج أبنائهم سابقاً دون أخذ موافقتهم، وإذا تزوجت بنت العم من رجل آخر فإن من حق ابن العم أن يعارض هذا الزواج حتى تتم ترضيته، وحول هذه النقطة أجرينا مقابلة مع عبدالله جبيري فقال: " مثل هذا الزواج دائماً يحصل عندنا، فأنا مثلاً تزوجت من ابنة عمي لأن والدي اتفق مع عمي على هذا الأمر ونحن مازلنا صغاراً ورغم ذلك عشنا سوياً سعداء لم يكدر أحوالنا أي شيء، وأنجبنا ولدين وبنتاً وأصبح الآن لدينا أحفاد والحمد لله على كل شيء"[٢] . وعادة يعيش أبناء العم في بيت الجد سوياً حتى يكبروا ويتم الزواج فيما بعد، ولكن هذا لا يعني أن مثل هذا الزواج يحصل دائماً ؛ فأحياناً يفكر الشاب في الزواج من إحدى بنات قريته، وغالباً يرى الشاب هذه الفتاة قبل زواجهما، فالناس جميعاً يعملون سوياً في الرعي أو الزراعة، ويقابل بعضهم بعضاً، أما الزواج من خارج القرية فيحصل أحياناً بناءً على معرفة الآباء لبعضهم أو يكون الشاب قد رأى الفتاة صدفة أثناء ذهابه للقرية، وبعد أن يرغب الشخص في الزواج من فتاة معينة فإنه يرسل أمه أو أخته لأخذ موافقة أمها، وبعد الموافقة المبدئية يأخذ والد العريس بعض رجال القرية ويذهب لخطبة الفتاة، وهم ما يعرفون (بالجاهة) وهذه تكون في البداية فقط .

بعد أن يتم خطبة الفتاة بصورة مبدئية تتم المراسيم الفعلية ويتم الاتفاق بين أهل العريس وأهل العروسة على يوم محدد، ويكون والد العروسة قد استعد بوليمة أو ما تجود به نفسه قبل أن يحضر المدعوون وعادة ما يكونون من الأقارب والأصدقاء المقربين . وعندما يحضرون تقدم لهم القهوة والتمر إن وجد، ويحضر المأذون الشرعي ويتم عقد القران ثم يأتي الأقارب والأصدقاء يباركون للعريس . ويتم أيضاً الاتفاق

(١) انظر الكتاب نفسه (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٧٨- ٨٥(عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالد عبدالله جبيري بتاريخ (١٤١٩/٨/٧هـ) قرية الملحاء . (عقيلي وزملاؤه) .

على المهر المدفوع الذي لا يمكن مقارنته بالمبالغ التي تدفع في الوقت الحالي، حيث ينظر البعض إلى الزواج وكأنه سلعة، وأحياناً لا يرحم بعضهم البعض حتى ولو كان العريسان من الأقارب. وفي فترة الخطوبة يجري ما يعرف بـ (مقضى السدا) ، ويقصد به اللوازم المبدئية التي تقدم للعروسة من قبل أهل العريس، وتقدم في فترة الخطبة تعبيراً عن الاتفاق الذي تم بينهما . وعن مقدار المهر تقول زينب منصور خويري " يختلف دفع المهر من رجل إلى آخر، فقد كان الريال في أيامنا يشكل الشيء الكثير، وكان أكثر مهر ثلاثين ريالاً تقريباً، وأحياناً قطعة أرض صغيرة مهراً للزوجة [١] .وفيما يعرف بـ (ليلة الزفاف) أو ليلة الحمل ترسل الدعوة إلى الأقارب والأصدقاء للحضور في هذه الليلة وأحياناً تؤجل هذه الليلة لظرف قد يحصل مثل موت شخص في القرية، فينتظرون أسبوعاً، ثم يذهب العريس لبيت أهل الميت ويستأذن منهم في إقامة العرس. وبالعودة إلى ليلة الزفاف تكثر فيها الزغاريد والطراطيع وهو ما يعرف بالشحات وأيضاً البنادق وكل ذلك تعبيراً عن الفرحة، وعادة ما يكون بعد العشاء . وفي اليوم السابق لليلة الزواج تقوم أم العريس بنشر لوازم العروسة في بيتها أو تكلف جارية تكون في خدمتها خلال أيام العرس بطلب نساء القرية للنظر إلى ما جاء به ابنها لعروسته وأيضاً لتقديم بعض المساعدات لأم العريس وهي ما تعرف بالمدية ترجعها لهم في أفراحهم" . وعن جهاز العرس سألنا الوالدة زرعة بنت يحيى عنه فقالت : " هو عشر ثياب سندسي وقميص أبو جلب وحرير وحطيم وسدة وقطاعة سندسي وأيضاً أوضاح ومسك وحجول فضة في رجلها وخلخالان " [٢] . وبعد حضور النساء المدعوات تقرع الطبول وتلعلع الزغاريد، حين تقام حفلة الرقص وتسمى تلك العصرية بليلة التيسيرة ويتكون الرقص من صفين متقابلين وفي وسطهما الشاعرة ويسير كل منهما إلى مكان الآخر في بطء ويستمر إلى قبل الغروب، ثم يستأنف بعد المغرب إلى العشاء، ثم يأخذ بعض الجواري بمساعدة أهل الدار في طي الثياب وترتيب الجهاز استعداداً لترحيله إلى دار العروس[٣] . وقبل ليلة الزفاف وفي نفس الليلة كان أهل العريس يجهزون الزيارون (العبيد) للضرب على الطبول، وأم العريس وإخوانه وأقاربه يرقصون على هذه الطبول إضافة إلى الجواري اللاتي يقمن بهذا العمل، ولكن في الوقت الحالي أصبح أهل العريس يقسمون جهاز العرس على فترتين جزء منها يذهب في فترة الظهرية،

(١) مقابلة مع الوالدة زينب منصور خويري بتاريخ (١٤١٩/٨/٢هـ) في قرية الخوارية . (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة زرعة بنت يحيى بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) بقرية الخوارية .(عقيلي وزملاؤه) .
(٣) العقيلي، محمد بن أحمد . الأدب الشعبي في الجنوب، ج١، ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٣٤ .

والجـزء الآخر يذهب بـه في الليل إلى بيـت العروسة، وبعد الانتقـال إلى بيت العروسة أيضاً يذهب معهم الزيارون(العبيد) إلى هناك .

وفي ليلـة الزفاف يقيم والد العروس وليمة بمناسبـة زواج ابنه يدعو إليها الأقارب والأصدقاء وأهل القرية وبعد العشاء كان أهل القرية يقدمون له بعض المساعدات المادية نتيجة لما تكلفه في عرس ابنه . وقبل الانتقال إلى بيت العروس يحمل جهاز العروسة على الجمـال والحمير لنقله إلى بيتها وقد يحمل هذا الجهاز في الليلة السابقة لليلة الزفاف إذا كان المـكان بعيـداً، وفي أثناء سـير الجمال في بعض الأوقـات يعترضها ولد ابن عم العروسـة لو كان صغـيراً وتتم ترضيته ثـم تواصل الحملة سيرها حتـى تصل إلى بيت العروسة، ويكون والد العروسة في استقبالهم لتنزيل جهاز العروسة واستقبال الضيوف. وأم العروسـة تنشغـل في هذه الليلة بتجميـل ابنتها، حيث يعمل لها مـا يعرف بالعضية وتشمـل الفـل والحسن والكادي والمحضـارة، وبعد تجهيز العروسة يقـام بتربيعها فوق كرسـي مرتفـع . ويتم الرقص حولها مـن قبل الجواري ونساء القريـة، وكانت الفتاة لا تحرك ساكناً دلالة على اتزانها وحيائها، وفي ضوء ذلك تستخدم الطراطيع (الشحات) والبنـادق التي يستخدمها أهل العريس تعبيراً عن أفراحهم، وتستمر هذه الأفراح حتى منتصـف الليل قرابة الساعة الثانية ليلاً ثم يقـوم أهل العريس بإدخال ابنهم إلى عش الزوجية حين كان العريس يقيم في بيت العروسة حتى ينتقل بها فيما بعد إلى بيته . وبعد فـترة يتم إدخال العروسـة إلى زوجها، وبعد دقائق يدخلون الطعـام إليهما ثم يخلدان للنـوم . وأهل العريـس لا يأتيهم النوم حتى يتم زواج ابنهم وهي ما تعرف بالليلة الأولى للعريس، وكان الأهل يعيشون في قلق نفسي حتى تنتهي مراسيم الزواج ويطلقون الأعيرة النارية في الهواء تعبيراً عن فرحهم، وكانت توضع قطعة بيضاء تحت العروس، وعندما يتم الدخول بها تأخذ هذه الشاشة وتظهرها أمام الناس تعبيراً عن فرحهم بالزواج .

وأحياناً يفشل العريس فلا يقدر على جماع زوجته في ليلته الأولى فيتبادر إلى ذهن والـده أنه عمل له عمـل (اللوث) فيبدأ بالبحث عمن يفك هـذا السحر، وهذا نوع من الشـرك والعيـاذ بالله . ولو نظرنا إلى الأمـر بنظرة تحليلية لوجدنـاه عاملاً نفسياً قد يصيـب العريـس ويحتاج إلى القليل من الصبر حتى يتم تخطي هـذه المرحلة . وأحياناً يقيـم العريـس في بيت العروسة فترة من الزمن قد تكون سنـة أو عدة سنوات حتى يتم الانتقـال، وإن كان بعضهم يقوم بنقل زوجته في الليلة الأولى وأحياناً يجب على العريس

أن يدفع النقول وهو مبلغ من المال يتم دفعه لأهل العروسة حتى يتم انتقالها إلى بيت عريسها . فعندما ينتقل الزوج والزوجة إلى بيت أهل الرجل أو إلى بيت خاص بهما وأولادهما يسمى ذلك اليوم بيوم النقول أي انتقال الزوجة من دار أهلها إلى دار زوجها. ويرتبط بهذه العادة بعض التقاليد التي تعارف عليها بعض السكان، فعندما يرغب الرجل الخروج بزوجته يبدي رغبته لأهل الزوجة، وأحياناً يقوم والد الزوج أو كبير أسرته بمناقشة الأمر مع أسرة الزوجة، وبعد موافقتهم تذهب والدة الزوجة لترى البيت أو الغرفة التي ستنزل بها ابنتها وأحياناً تصحب معها بعض الأثاث والأواني لتضعها في ذلك المنزل ثم يأتي يوم النقول[١] . وقد سألنا الوالدة زرعة بنت يحيى فقالت : " إذا طلب الزوج النقول قام أهلها بعمل البن والمجلجل للحريم على القهوة وإذا ذهبت وضعوا الحب تحت رجلها وقالوا مسكنة ممكنة "[٢] .

كما كان للختان في منطقة صبيا وما حولها أهمية كبرى، ويطلقون على الختان، (العِلَى) بكسر العين وفتح اللام وآخره ألف مقصورة وتكلف عادة الختان قديماً تكاليف مالية وجسدية كبيرة. وسن الختين يتراوح ما بين (٢٠ -٣٠) سنة أي قد اكتمل رشده، ويسمون الذي لم يختن " عتيقة "، وإذا حان موعد الختان يذهب الذي سوف يُختن ويتعلم " القاف "، والقاف تراحيب للضيوف ومدح في أعيان القبيلة، ويمكث يتعلم القاف عدة أسابيع ثم يعود إلى أهله، وهنا يحين موعد بدء الطهور وأول ما يبدأون به هو تطييب وتجميل المختون فيفرقون شعر رأسه ويضعون به الحسف وهو مسحوق أحمر، وتجتمع عليه نساء القرية ويزغردن على رأسه ثم يدق الطبل والزير، ويهب الذي سوف يختن ويلعب لعبة البرع، وهنا يهب رجال القبيلة ويضربون بالرصاص ويتناصعون ((يقنصون) قرعينة العشة وهي عصا صغيرة توضع في أعلى العشة، ثم يذهب أهل الختين ومعهم الذي سوف يختن يطلبون شيوخ وأعيان القبيلة ويمر عليهم واحداً تلو الآخر وفيهم يقول الشعر والمدح، وهذا يستمر لمدة سبع ليال تقريباً يلعبون فيها اللعبات والرقصات الشعبية ومنها البرع والسيف والعزاوي والربش والزيفة، يلعبونها إلى منتصف الليل، وقبل يوم الختان يقومون بلعبة العرضة وهي تسمى ليلة الشهرة، وفيها كل يعرض مهارته التي يشتهر بها أمام القبيلة ونساء وفتيات القبيلة اللواتي كن

---

(١) ابن جريس، غيثان بن علي . عسير. دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ) (١٤١٥هـ)، ص٨٢ .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة زرعة بنت يحيى بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٤هـ) بقرية الخوارية . (عقيلي وزملاؤه) .

يحضـرن ليلـة الشهرة وفيها يقوم فارس القبيلة بإبـراز إبداعاته الفروسية على الخيل ويرقصـ الخيل ويلقط الطاقية من الأرض بطرف السيف ويخلع قميصه ثم يلبسه وهو يركضـ بالخيل إلى غير ذلك مـن الإبداعات. وفي الليل يلعبـون الربش، وكانت النساء يلعبن مع الرجال وينشدون الأهازيج والغناء، وإذا جاء الصباح يبرز الرجل الذي سوف يختـتن إلى ساحة الختان ثم يأتيه الختان (العِلَى) يبدأ في ختنه على مرأى من الناس، ولا ترف له عين، وإذ رف أو خاف فُضح بين الناس والقبيلة وكان يسمى ذلك البراز[1] . ويذكـر لنـا حسين جابر خويري عن يوم ختانه فقال: " لقد اختتنت وعمري (٢١) سنة، والشعـر في لحيتي ثم قبلها ذهبـت إلى شاعر في قرية الحقو يدعـى أحمد بن امقريع، وكنـت أتعلم عنده القاف ومكثت عنده أتعلم القاف لمدة شهر ثم رجعت إلى أهلي، وبدأ الهـود فذهبت أطلـب في قبائل الحقو، وأطلـب أي لا أشحذهم وإنمـا أدعوهم لحضور الهـود وليلة ختاني، ثم طلبت في قبائل النجـوع ثم قبائل الملحاء (قبيلتي). وذكرت يوم ختاني العديد من الأهازيج والأشعار" .

ومن عادات المآتم في منطقة صبيا أن الناس يزورون بعضهم البعض، وكان الشخص إذا مرض يتم علاجه بالطب الشعبي لعدم توفر الإمكانات الصحية . وكان هناك الكثير من الوفيات في تلك الأيام، ومن الأسباب التي تؤدي إلى الوفاة الأمراض المنتشرة بكثرة مثـل: الجدري، والحصبة، إضافـة إلى بعض الزواحف السامـة، ولا ننسى القتل الذي يحصـل بين الأشخاص، لكن رغم ذلك فإنه بمجرد أن يمرض الشخص يسعى جماعته لزيارته والاطمئنان عليه، ولكن قبل أن يموت نجد أن بعض كبار السن يقفون على رأسه يذكرونـه بالله، وبعد الوفاة يقفل فمه وتغمضـ عيناه ثم يذهب بعض أهل القرية لحفر القـبر للميت ويراعون عنـد الحفر طول الميت وعرضه . وهناك مـن يقوم بغسل الميت، وكان يغسـل الرجـال الرجال والنسـاء النساء، والذي يقوم بالغسـل يجب أن يكون على معرفـة بالطريقـة التي يتم بهـا الغسل، ويكون من كبـار السن أو من أهـل الميت، وبعد الغسـل تأتـي مرحلة وضع الكفن عليه. ولعدم توفر الألبسـة فالميت يغطى بقطعة تسمى (اللحاف) وهو كفن للميت عادة يستخدمه الرجل للبس في حياته . ويشارك أهل القرية في مساعـدة أهـل الميت وحمله إلى مقره ويرددون بعضـ الأدعية مثل (لا إله إلا الله ما

(١) مقابلة شخصية مع الوالد يحيى خزرجي في (١٤١٩/٨/٩هـ) بقرية أم القضب . (عقيلي وزملاؤه) .

يـدوم غـير الله) وقول (يا رحمن يا رحيم) وغير ذلك مـن الأدعية الأخرى حتى يتم دفنـه . وفترة العزاء ثلاثـة أيام يحضر فيها أهل القرية لمساعدة أهل الميت، وفي العادة يحضـرون بعض الأطعمة من خبز وتمر كل حسب طاقته حتى يساعدوا أهل الميت لأنهم مشغولـون بما حل بهم . وبعض أهـل القرية يتكفلون بالولائم خلال أيام العزاء الثلاثة، وبعض الناس يساعدون أهل القرية في اليوم الأول والثاني[١] . أما اليوم الثالث فيتكفل أهـل الميت بعمل وليمة للحاضرين، أما بالنسبة لإقامة بعض رجال القرية مع أهل الميت لاستقبال الوفود القادمة من القرى الأخرى فهذا الأمر لا يحصل في أغلب مناطق صبيا ولكـن هـذا لا يعني أنه لا يحصل في بعض بلدان تهامة والسراة . أمـا النساء فبمجرد علـم أهل الميت بوفاته فإنهن يبدأن بالنواح علـى الميت، ويحضر نساء القرية على هذا الصـوت، وعند دخول النساء إلى بيـت الميت تبدأ كل واحدة منهن بالنواح وهي مازالت على الباب، وهذا في رأيي من العادات المحرمة التي بدأت تقل في الوقت الحالي لانتشار العلم بين الناس على عكس السابق . وحول النواح على الميت سألنا الوالدة فاطمة طويل فقالـت : " كنـا بمجرد سماعنا للصاعق (الصراخ) من أهل الميت نبادر بالذهاب إلى أهـل الميـت ونشارك معهم في البـكاء على الميت" ، ومن بعض الأقـوال التي نقولها أثناء البكاء على الميت :

يـا خيـة إن شـيـت مـن البـكـى ... فـعـدت عـامـاً كـامـل
حـتـى يـعـود الحـي ... ومـا يـولـدن الحـوامـل[٢]

٦ـ عادات وتقاليد أخرى :

أ ـ التعاون والتكافل :

عـرف سكان صبيا عادة التكافل والتعاون فيما بينهم، وظروف الحياة القاسية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ،جعلتهم في حاجة بعضهم البعض . وهناك بعض الوثائق التي دونتها أسـر أو قبائـل وضمن بنودها إغاثة الملهـوف، ومساعدة المحتاج، والتـآزر والتعاون في كل مـا يوفر الأمن والاستقرار لأهل القريـة أو القبيلة التي أعدت تلك الوثائق[٣] . وقد سمعت

(١) كانـت عـادة العزاء خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) يشوبها الكثير من المخالفـات، واستنزاف أهل الميت بطول المدة التي يمكثها أهل القرية في بيته، فيأكلون ويشربون من مال الميت وورثته . (ابن جريس) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة فاطمة طويل بتاريخ (١٤١٩/٨/١٤هـ) بقرية أبوالقعائد. (عقيلي وزملاؤه).
(٣) ياأستـاذ عقيلي ورفاقه نعم يوجد في عموم منطقـة تهامة والسراة مئات الوثائق والقصص الشفهية التي تؤكد على ظاهر التكافل والتعاون بين أفراد وأسر وعشائر هذه البلاد . (ابن جريس) .

من بعض الرواة في قرى الباحر، وصلهبة، والعداية وهم يذكرون كيف كان حب الناس لبعضهم، وتعاونهم في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحربية وغيرها[١] .

ومازالت ظاهرة التعاون والتكافل سارية في مجتمع صبيا حتى اليوم، لكنها ليست بالدرجة التي كانت موجودة خلال القرون الهجرية الماضية . وربما ظاهرة الرخاء وتطور أحوال الناس الاقتصادية هي التي جعلت هذه العادة تتراجع، والواجب علينا العمل بجد وإخلاص حتى تعود إلى ما كانت عليه، وهذا مما يعود بالفائدة علينا معاشر الكبار، وأيضاً على أجيالنا الحديثة من الأبناء والأحفاد [٢] .

ب- الكرم واستقبال الضيوف :

الكرم من الخصال الحميدة التي اشتهر بها العرب، وهناك الكثير من القصص التي تكلمت عن كرم العرب، والكرم عادة ما يكون ذا علاقة باستقبال الضيوف سواءً لشخص واحد أو مجموعة أشخاص. والكرم في صبيا ضمن العادات التي يتفاخر بها الناس، والرجل يعمل على استقبال ضيفه والترحيب به وتقديم الولائم له حسب ما تجود به نفسه، والشخص البخيل مكروه ولا تقدم له المساعدة ويقاطعه الناس. والضيف عندما يأتي إلى شخص معين فإنه يكرم وفادته ويحسن استقباله ولا يسأله عن حاجته حتى يتكلم بها، وعندما يدخل البيت تقدم له القهوة والتمر في بداية الأمر ثم يذبح له ذبيحة، وأحياناً يدعو صاحب البيت جيرانه للتعرف على ضيفه ومشاركته في الوليمة التي أعدت، والغني في الماضي يختلف عن الفقير فيما يقدمانه للضيف، وكان يقاس الغنى بمقدار ما عند الإنسان من ماشية وأراض، ومن عادة رجل البيت وجماعته عندما يأتي إليه الضيف وتقدم له الوليمة فإنه يقدم الضيف للجلوس على الطعام ثم يقول صاحب البيت للحضور تفضلوا الطعام على شرف فلان بن فلان، ثم يجلس آخر واحد لتناول الطعام معهم . ومن عاداتهم أنهم لا يفارقون الطعام إلا بعد أن يقوم الضيف احتراماً وتقديراً له، وعندما يفرغ الضيف من تناول الطعام يقوم ويقول (جاد الله على من تكلف) أو (أكرمكم الله) وغيرها من الكلمات التي تختلف

---

(١) وأفيدك يا خالد عقيلي ورفاقك أنني عاصرت شيئاً من ذلك التعاون في منطقة عسير خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) . بل اطلعت على وثائق عديدة تذكر أشياء من تاريخ التعاون بين الناس خلال القرون الماضية المتأخرة. للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٩٣ .

(٢) تاريخ التكافل والتعاون في عموم منطقة جازان، أو بلاد تهامة من مكة إلى جازان من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة وبخاصة خلال القرون الثلاثة الماضية، وذلك لوفرة المادة المدونة والمروية التي تصب في خدمة هذا المجال . (ابن جريس).

مـن منطقة لأخرى، ثم يرد عليـه صاحب البيت والمدعوين بقولهم له بالصحة والعافية وغيرها من الاصطلاحات اللغوية . وعندما يأتي ضيوف كثيرون، وغالباً يكونون قادمين لحاجـة، فإن صاحب الدار يخبر أصدقاءه وجيرانه لاستقبال الضيوف معه وربما يكون مستعـداً مسبقـاً لهذه الزيـارة . أما عادة الكـرم في الوقت الحالي فإنـه يشوبها بعض التبذيـر والإسـراف، وأحيانـاً تكون فوق الحاجـة بكثير. وبعض رجـال القرى في صبيا يدفعـون بعض الأموال شهرياً ويتم جمعها عند شخص معين تحسباً لزيارة ضيوف لهم أو لحاجة أخرى، وهذا فيه نوع من التعاون بين أفراد القرية أو العشيرة[١] .

ج- الشجاعة :

الشجاعة من العادات التي يتميز بها سكان الجزيرة العربية سواءً في الحروب أو المواقف التي تبين شجاعة الرجل وعدم خوفه، وسكان منطقة صبيا يمتازون بالشجاعة والرجولـة، فتجـد الرجل ينتقل من مكان إلى آخر ليلاً دون خوف من حيوانات مفترسة أو قطاع طرق، وكان الشخص يحمل سيفه أو خنجره أو بندقيته أو عصاه، ويسافر على جملـه أو حماره أو حصانه للتجارة أو الحج بدون خوف. والرجل في الماضي يختلف عن رجـال اليـوم، وذلك يعود للبيئة التي نشأ فيها، فقد تربـى على الشجاعة وعدم الخوف منذ صغره، كما كان يتعلم السباحة وركوب الخيل وحمل السيف . وهذا يجعل منه رجلاً منـذ صغره، ومن الأمور التي تدل على شجاعـة الرجل أو الشاب في الماضي حصول أي كارثـة في القرية فعنـد سماع استغاثة أي شخص فإنه يهـب للمساعدة فوراً . ولا ننسى الحـروب بين القبائل التي كانت منتشرة، وتعتبر من العادات السيئة، فعند سماع حرب فإنهـم يجتمعون عنـد كبيرهم حاملين أسلحتهم استعداداً للقتـال، وكذلك الدور الذي لعبـه أبناء منطقة صبيـا أثناء توحيد المملكـة العربية السعودية، فهنـاك الكثير منهم التحقوا بالجيش السعودي وأبلوا بلاءً حسناً أثناء توحيد البلاد[٢] .

د- الصلح :

عـادة ما يحصـل الخصام بين أفـراد منطقة صبيا حـول حدود علـى الأرض، أو ماشية ترعى في أرض الغير، ونتيجة لتدخل الشيطان بين الأفراد، وأيضاً الغضب الذي

(١) عادة الكرم واستقبال الضيوف قديمة في شبه الجزيرة العربية، وكتب التراث الإسلامي مليئة بالتفصيلات النثرية والشعرية التي توضح شيئاً من تاريخ هذه العادة العربية القديمة . (ابن جريس) .

(٢) موضوع الشجاعة كبير ولا يكفي ذكره في سطور محدودة، ومن يدرس هذا الموضوع في عموم منطقة جازان خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) فإنه سوف يجد مادة علمية كثيرة تصب في دراسة هذا العنوان .(ابن جريس) .

يسيطر على بعض الناس فإن ذلك يؤدي إلى الخصام وأحياناً المقاطعة لفترة من الزمن، ومن ثم يقوم أهل الخير بالإصلاح بينهم، وعادة ما يلجأ المصلحون للعقل من أجل إزالة المشاكل المتولدة بين طرفي النزاع، وقد سألت الوالد عبدالله أبو طالب عن هذا الموضوع، فقال: " أذكر قصة حصلت في الماضي أن رجلين حصل بينهما نزاع حول قطعة أرض مما أدى إلى قتل أحدهما للآخر، وكادت المسألة أن تصل إلى طريق مسدود بين أهل القتيل والمقتول لولا تدخل أهل الخير في الأمر، وانتهى بتنازل أهل القتيل عن دم ابنهم "[١]. أما الخصام بين القبائل فأحياناً يستمر لفترات طويلة، ويولد الحروب والنزاعات بين الأطراف المتخاصمة، لكن هذه الأمور بدأت تقل كثيراً.

وكان من العادات السائدة في القرن (١٤هـ/٢٠م) طلب العفو عن الآخرين، وذلك بعد أن يصدر القاضي أو الحاكم حكماً ليس فيه حد شرعي على أحد من الناس فإن بعض الأعيان وأهل الرأي يتدخلون بطلب العفو عن المحكوم عليه، وغالباً يذهبون إلى صاحب الحق فيلقون عمائهم بين يديه وعند رجليه ويقبلون أنفه ولحيته، طالبين منه العفو عن المحكوم عليه، وفي كثير من الأحيان لا ترد عمائم المصلحين إلى رؤوسهم إلا بعد استجابة صاحب الحق في العفو والسماح ثم التنازل عن حقه[٢].

هـ- عادة إعطاء الوجوه أو الجوار:

من العادات بين سكان منطقة صبيا إعطاء الوجوه أو الجوار، نتيجة لمشاكل تحدث بين الأفراد في القبيلة الواحدة وتؤدي أحياناً إلى القتل، فالقاتل يخرج إلى قرية أخرى لأخذ الحماية، ويدخل على شيخ القبيلة ويقول: (أنا داخل على الله ثم عليك يا شيخ)، ويقبل الشيخ دخالته ويصبح في جواره لا يتعرض له أحد، ومن عادة شيخ القبيلة أنه يجير من طلب الحماية والجوار ولا يسأله عن شيء، ويدع الأمر للمجار يتحدث متى شاء عن سبب مجيئه، وأحياناً يستمر لفترة طويلة في القبيلة دون أن يسيء إليه أحد. أما الشخص الذي يُهدر دمه فإنه لا يجب على شيوخ القبائل أن تقبل دخالته وإجارته حين يعلمون جرمه مسبقاً[٣].

و- عادة توديع واستقبال المسافر:

كان الرجل في منطقة صبيا يسافر للحج أو التجارة وكسب الرزق، وأحياناً يستغرق

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالد عبدالله أبو طالب بتاريخ (١٤/٨/١٤١٩هـ) بقرية أبو القعائد. (عقيلي وزملاؤه).

(٢) ابن جريس، غيثان بن علي. المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨.

(٣) للمزيد انظر غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٩٨.

سفره فترة طويلة ويتعرض لمخاطر الحيوانات المفترسة أو قطاع الطرق وغيرها، ولذلك يودعه أهله وداع المسافر الذي ربما لن يعود . وقد أجريت مقابلة مع الوالدة فاطمة طويل فقالت : " عندما يسافر الرجل للحج يودع أهله وداع الذاهب بدون رجعة، وكان المسافر يوصي كبير عائلته أو شيخ القرية على أهله في غيابه، وكنا ننشد بعض الأناشيد توديعاً للمسافر " [١] . وعندما يعود المسافر من الحج يتم استقباله عند بيته وتطلق الأعيرة النارية والطراطيع ترحيباً به، ويقوم أهله بوضع راية فوق البيت دلاله على أن والدهم حج إلى بيت الله الحرام، وفي العادة يحضر بعض الهدايا لأهله ولمن يأتي لزيارته من أهل القرية . وبعد توحيد المملكة العربية السعودية، سافر الشباب للالتحاق بالعسكرية في مدن البلاد الكبرى، ويغيب بعضهم فترة طويلة حتى يجمع الأموال اللازمة لزواجه ثم يعود مرة أخرى ويحمل بعض الهدايا لأصدقائه وجيرانه الذين يحضرون للاطمئنان عليه بعد وصوله " [٢] .

ز- تبادل الأخبار :

كانت أخبار القرى المتجاورة تتم عند زيارة شخص لشخص آخر وبعد وصوله إلى بيت الرجل المستقبل فإنه يسأله عن أحواله وأخباره وكيف حال صحته وصحة أهله وأقاربه، وأثناء تبادل الحديث بين الطرفين فإن كل واحد يتناول الأحوال التي حوله، ويبدأ كل واحد في التحدث عن الأحداث المهمة التي حصلت في قريته والقرى المجاورة له . أما في حالة وجود أكثر من شخص في المجلس وخاصة من أقرباء المقيم فإن أكبرهم سناً هو الذي يتحدث ويرد عليه الضيف، وذلك تقديراً للسن وأهله[٣] . وهذا يدل على حرص الناس على معرفة أخبار بعضهم البعض وإقامة العلاقات الطبية بينهم .

ح- عادة السموة أو السماية[٤] :

إن لعادة السماية في صبيا شأن كبير فهي من الأعراف التي تربط الأسرة بعضها ببعض أو القبيلة مع قبيلة أخرى، والشخص إذا جاءه ولد أو بنت سمى به من يحب وما أن يعلم الشخص المسمى به حتى يأتي لسميه بهدية تسمى (النحلة) وعادة

---

(١) مقابلة شخصية مع الوالدة فاطمة طويل بتاريخ (١٤١٩/٨/١٤هـ) بقرية أبو القعائد . (عقيلي وزملاؤه) .

(٢) لقد شاهدت هذه العادات في سروات بني شهر وبني عمرو خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس).

(٣) ابن جريس، غيثان بن علي . المرجع السابق، ص ٩٩ (عقيلي وزملاؤه) .

(٤) مقابلة شخصية مع الوالد علي بن سيد في (١٤١٩/٨/١٩هـ) بقرية شهران . (عقيلي وزملاؤه) .

ما تكون النحلة من أغلى الأشياء، وذلك حتى يذيع صيت الناحل بين الناس. والشخص السمي وسميه لا ينطق كل منهما باسم الآخر الحقيقي، بل يقول له (سمي)، وكذلك تفعل النساء، وإذا جاء يوم ختان الولد فلا يختن حتى يأتي سميه ويحضر مناسبة الختان، وفي زواج البنت تحضر سميتها، وتجلب بعض الهدايا القيمة .

ط- عادات حميدة وأخرى سيئة :

١. عادات الحلف والصحبة وهذه بين القبائل وهي شبيهة بالجوار، وغالباً تحدث بين أهل تهامة والقبائل الجبلية [١] .

٢. عادات الصدقة والعناية بذوي الحاجة وأهل الفاقة، فيعطونهم من أنعامهم ما يسمى (مناح) أو منيحة، وهي إبل أو بقر أو غنم فيقوم الفقير برعايتها والاستفادة من لبنها ومنافعها الأخرى .

وكان هناك عادات سيئة تقع في أغلب الأوقات بسبب الجهل بأمور الدين، ومنها: [٢]
(١) اختلاط الرجال بالنساء في أماكن التجمعات كالآبار والرعي والزراعة، والمنازل، وهذه العادة كانت منتشرة بين الأقارب دون حرج، فقد تسلم المرأة بالمصافحة على غير المحارم، وربما يتواجهون بالرؤوس أثناء السلام، وأخطر من ذلك الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: " ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما " وهذا تفريط بسبب الثقة الزائدة عندهم وإلا فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك كله [٣] . (٢) عادات الأهواد واحتفالات الختان القديمة [٤]، وقد زالت والحمد لله . (٣) مخالفات أخرى مثل ما يسمى بالشعبانية فيعتقدون أن ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة وربما اعتقدوا أنها ليلة القدر، وأيضاً بدع الجنائز والمآتم وما يسمى (القطوع) وحداد النساء أكثر من ثلاثة أيام على غير زوج. وهذه تحتاج إلى بيان بل إن المرأة كانت

---

(١) الأحلاف موجودة عند عرب شبه الجزيرة العربية من قبل الإسلام، وعبر عصور الإسلام المختلفة . (ابن جريس) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالد يحيى دش في (١٤١٩/٨/٣هـ) بقرية قائم الدش. (عقيلي وزملاؤه) .
(٣) كان الاختلاط سائداً في عموم شبه الجزيرة العربية، وظروف الحياة القاسية هي التي جعلت النساء والرجال يعملون سوياً في مهن وحرف عديدة . وأيضاً الجهل بأمور الدين جعلت الرجال الأجانب شرعاً يلتقون ويعملون مع النساء غير المحارم في ميادين اجتماعية واقتصادية عديدة . (ابن جريس) .
(٤) للمزيد عن عادات الختان والمآتم وغيرها ليس في صبيا وإنما في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة، انظر: غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٨٥، ٩٠ . (ابن جريس) .

إذا مـات زوجهـا تمكث في الحداد سنة كاملة، وهذه زالت أيضـاً . (٤) زاد المعاصرون في بـدع الجنائز اليوم بالضيافات وذبح الذبائـح على مدى ثلاثة أيام حتى تحولت بيوت أهل الميت إلى مكان تجمع وذبح وطبخ ونفخ وما كانت السنة هكذا !! (٥) ومن أخطر المخالفات العقديـة التي توقع أصحابها في الشـرك الأكبر تعلقهم بأشخاصـ والذبح للجن وتقديس بعض الكهنة، وبعضهم ينشدهم عن ضالته، وعن الغائب متى يقدم، والمريض كيف يشفى، أو من لا يولد له كيف يرزق بذرية، وما شابه ذلك من جلب نفع أو دفع ضر، وقد علموا أنه لا ضار ولا نافع إلا الله قال تعالى (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [١] .

٧ـ الطب والتطبيب :

كانـت الأمراضـ منتشرة في صبيا وعمـوم منطقة جازان بدرجة كبـيرة، والأدوية وأساليب العلاج قليلة مما جعل نسبة الوفيات عالية وخصوصاً بين الأطفال وكبار السن، وعن بعض الأمراض الفتاكة حدثنا الوالد موسى عبدالله [٢] فقال: " كان الجدري أكثر مـا يخيفنا من الأمراض، ويليه الزنيقة (وهي انتفاح في البطن وغالباً يموت صاحبه) ، وأيضـاً الجذام، والجرب، والحصبة والعنقـاز (في مناطق أخرى تسمى الجريعاء) [٣] وحدثتنـا الوالـدة علا الله إبراهيـم [٤] أن ابنها الأكبر أصيـب بالجدري ومات، وبعده أصيبت ثلاث بنات لها لكنهن شفين منه والحمد لله، أما عن وسائل العلاج فقد كان الكي هو أكثر الوسائل استخداماً، وفي المنطقة أناس يمارسون عملية الكي . وعن التجبير، فقد كسـرت ذراعي عندما كنت صغيرة، فذهـب بي أبي إلى العم (صعدي) ، وهو رجل يجيد مهنـة التجبير، وأذكر أنـه استخدم في التجبير قطعتين من الخشـب ولف عليهما قطعة قماش وجعل (الهرد) المحمي عليها، وقد شفيت ذراعي وعادت إلى وضعها الطبيعي.

وكانت تستخـدم الحجامة، ومازال بعض كبار السن يعتبرها علاجاً أساسياً لبعض الأمراض، ويوجد أناس يختصون بها مقابل بعض الأجرة وكان في القرية أماكن للحجر

---

(١) كانـت هـذه المخالفـات موجـودة في أمكنة كثـيرة من شبه الجزيـرة العربيـة، وسمعت قصصـاً وروايات عديـدة من هـذا الجانب أثناء تجوالي في بلدان تهامة والسراة . ومنـذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية القـرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ التعليم الشرعي العالي ينتشر في البلاد وقـام الدعاة ورجال العلم بجهود جيدة في محاربـة البـدع والخرافات المنتشرة بـين عوام الناس، وأصبحنـا اليوم لا نرى ولا نسمـع شيئا من تلك الشركيات والمخالفات التي عرفها ومارسها الناس قديماً . (ابن جريس) .

(٢) مقابلة شخصية مع الوالد موسى عبدالله في (١٤١٩/٨/٣هـ) بقرية أم القضب . (عقيلي وزملاؤه) .

(٣) مقابلة شخصية مع الوالد موسى عبدالله من قرية أم القضب في (١٤١٩/٧/٧هـ) . (عقيلي وزملاؤه).

(٤) مقابلة شخصية مع الوالدة علا الله إبراهيم بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٨/٣هـ). (عقيلي وزملاؤه).

يعـزل فيهـا من أصيب بالجدري أو الجذام، ويروي لنـا الشيخ مروعي جده [١] أنه مات رجـل يدعى العيدي في قرية مجاورة بالجذام ولم يقترب منه أحد ثم قاموا بحفر حفرة كبـيرة ودفعوه هو وسريره بعصا طويلة حتى أسقطـوه في الحفرة بعد أن رشوا عليه الماء والسـدر مـن بعيد، ثم غطوا قبره بالحجـارة، ولم يقترب أحد مـن عشته حتى هدمت . ومازلنـا نشاهد بعض كبار السن في قرى صبيا، وفي وجوههم آثار الجدري، ولقد أصبت بالحصبة في صغري، وكانوا يسقونني ماء، ويأتون إليَّ بكوب من الحقنة وهي لبن الأبقار وبهـا يضعـون زبل كلب جاف ويخفونـه عني حتى لا أتقيأ . وفي الليـل أجرد من ملابسي وأعرض لريح الشمال، وفي النهار أكتفي بإزار قصير ليستر العورة فقط، حتى شفيت .

وكانـت ولادة النسـاء تتم في البيوت، وهناك بعض النسـاء المتخصصات في ذلك، وبعض النسـوة يلدن لوحدهن دون مساعـدة أحد، ومنهم الوالـدة صالحة إبراهيم [٢] التـي ذكـرت أنها ولـدت في المسنى (المزرعـة) لوحدها حيث فاجأهـا الطلق وهي في حصاد. كما دخل في التطبيب الكثير من الشعوذة والدجل وأعمال السحر التي انتشرت بصـورة كبيرة ولا يتسع المقام لذكرها، ومازالت الكثير من أساليب العلاج القديمة إلى الآن ولاسيمـا الكي والحجامة والعلاج بالقرآن والعـين الحارة، وأيضاً بعض المشعوذين الذيـن يدعون إخراج الجن وشفاء المجنون وفـك الأسحار وغيرها من الخرافات، غير أن مـا وفرته الحكومـة الرشيدة من وسائـل العلاج والمستشفيـات الحديثة قد حد من انتشار هذه الطرق القديمة. وهناك العلاج بالغميز (وهو تدليك أماكن الآلام) ومازال إلى الآن عائـلات معروفـة بغمازة نوع معين مـن الآلام، فيذكر لنا الوالـد علي جره [٣] أن عائلتهـم تغمـز ريـاح الشوكة وهـي ألم في مفصل الفخذ، وعائلـة الماطي تغمز رياح الخاصرة وهي ألم في أسفل الظهر، وعائلة النهاري تغمز الملطومة وهي شد في عضلات الوجـه يعتقد الأهالي أنه لطمة شيطـان . وغير ذلك من الأساليب العلاجية التي حدت المستشفيات من انتشارها [٤] .

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ مروعي جده بقرية الملحاء في (١٤١٩/٧/١٥هـ) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٢) مقابلة شخصية مع الوالدة صالحة إبراهيم بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٥ه) . (عقيلي وزملاؤه) .
(٣) مقابلة شخصية مع الوالد علي جره بقرية الملحاء في (١٤١٩/٧/١٥هـ) (عقيلي وزملائه) .
(٤) حبذا يا خالد عقيلي وبعض زملائه يتوسعون في دراسة هذه المحاور المهمة . (ابن جريس) .

٨ـ بعض الألعاب الرياضية والتسالي :

كان الناس يمارسون عدة رياضات وألعاب ترفيهية ويحاولون إبراز قوتهم في معظم الرياضات، وكانت النساء يحضرن بكثرة لمشاهدة المتبارين، وسأذكر بعض تلك الألعاب مثل: **(أ) الهوائية :** يمارسها الرجال بعد نزول المطر، وعندما تتماسك الأرض يخرج الناس للتمتع بالجو الصحو ويجمع التراب في مكان ويوضع به بعض النفايات ولاسيما المرخ ويداس بالأقدام حتى يثبت ثم يبدأ السباق، حيث يركض الرجل بقوة ثم يضع رجلاً واحدة على (المطبع) ويقفز بقوة محاولاً الوصول إلى مدى بعيد ويقف رجل من كبار السن وبيده عصا ويشير للمكان الذي سقط منه آخر جزء من المتسابق يحط على الأرض ويحاول الباقون أن يتخطوه. وأذكر في صباي أنهم أقاموا السباق ذات مرة وكان هناك عدد من الشباب وبينهم رجل كبير السن نوعاً ما ويدعى (شوعي بقر) الذي غضب من الشباب لأنهم لا يقفزون بقوة فوثب هو وثبة لم يستطع أحد أن يتعداه فيها إلى وقت المغرب، وضرب به المثل في القرية إلى الآن . ومازالت تمارس هذه اللعبة إلى الآن [١] .

(ب) الساري : لعبة شهيرة في منطقة جازان تمارس ليلاً وتحتاج إلى بعض القوة، وينقسم اللاعبون فيها إلى فريقين كل فريق ما بين (١٠) إلى (٢٠) في متسع من الأرض وغاية الفريق تسمى المد، ولقد فصل العقيلي ذلك [٢] . **(ج) الخطفة :** مثل لعبة الساري، لكن خالية من العنف وتتكون من فريقين يهرب فريق المُهاجمين ويقف المدافعون وبعضهم يذهب في أثر المهاجمين لإجبارهم على العودة ويحاول المتبقون من المدافعون لمس أولئك ممن يحاول الوصول إلى المد من المهاجمين ويلعبها الصبيان بصورة خاصة . **(د) عظم القرن :** وهو عظم العصعوص (عجب الذنب) لدى الجمال أو الأبقار حيث يكون كبيراً وناصع البياض ويجتمع كثيرون في ساحة فسيحة ويقف أحدهم بعيداً ويغمض الباقون أعينهم ثم يرميه في الحشائش وينطلق الباقون للبحث عنه ومن يجده يتسلل خفية حتى يرجع إلى المكان الأساسي ثم يصيح (عظم القرن) فيرجعونه بصورة سباق إليه وهو الذي يتولى رميه، وإذا عرف قبل أن يعود يطارد بصورة جماعية وعليه محاولة العودة دون أن يمسكوه .

---

(١) انظر: العقيلي، محمد بن أحمد . الأدب الشعبي في الجنوب، ص ٤١، ج١، ط دار اليمامة، الرياض .(عقيلي وزملائه) .

(٢) العقيلي، المرجع السابق، ص ٣٢ . (عقيلي وزملائه) .

(هـ) الجري: وهو خاص بالشبان حيث يتباهون بذلك أمام الكبار في السن والنساء وصفته أن يصطفوا صفاً واحداً ويبدأون بالسباق على صرخة أحد كبار السن إلى مكان معين والأول هو الفائز ذهاباً وإياباً. **(و) المزقرة:** شائعة في منطقة صبيا وعموم بلاد جازان، وهي عصا قصيرة وعصا طويلة وعدة لاعبين وتحفر حفرة صغيرة توضع عليها المزقرة (العصا الصغيرة) بصورة أفقية ويرفعها اللاعب بالعصا الطويلة ثم يضربها بقوة ويحاول الفريق المنافس لمسها أو مسكها قبل أن تنزل إلى الأرض وإلا اعتبر الضارب فائزاً[١]. **(ز) المداويم:** المنطقة قريبة من الجبل وينمو فيها الدوم بكثرة، وثمره يدلى، ونواته هي الخزوف في اللفة، وتؤخذ نواته ويثبت بها جزء حديدي في الأسفل ويلف عليها خيط حتى يرى مكانه، ثم تقذف فتدور على الأرض لفترة والفائز الذي يجعلها تدور لفترة طويلة. **(ح) المسحر:** تتخذ كرة من ثمرة الدوم وتلف في الليف أو الخرق ويلعبها الشباب في مكان فسيح من الأرض، وينقسمون فريقين وكل واحد في الفريقين يحمل عصا طويلة (محجن)، وترمى الكرة، وتتناولها المحاجن إلى غاية كل فريق، وكثيراً ما تحدث إصابات أو معارك بالمحاجن، فقد ذكرت الوالدة صالحة إبراهيم أن ابنها علي قد أصيب بضربة محجن في ركبته مازال يشكو من عرج في رجله حتى مات[٢]. وكانت معظم الألعاب تزاول بصورة جماعية وتضفي على القرية جواً من المرح لينسى الناس هموم ومتاعب الحياة ولو لبعض الوقت[٣].

ثانياً: الحياة الاقتصادية:

من الجوانب الاقتصادية التي يهتم بها سكان صبيا مهن الرعي والصيد، والزراعة، والحرف اليدوية، والتجارة وكل ما يتعلق بها، إضافة إلى بعض الصناعات التقليدية التي يعمل سكان المنطقة على التفنن فيها.

١- الرعي والصيد:

الرعي مهنة قديمة فمنذ أن عرف الإنسان الحيوانات بدأ بتربيتها وإطعامها مما تنبت الأرض وقد مارسها العرب، واختص بها البدو الرحل الذين ينتقلون من مكان

---

(١) العقيلي، الأدب الشعبي في الجنوب، ص ٤٤، ٤٥. (عقيلي وزملائه). والألعاب الشعبية والرياضات القديمة في منطقة جازان وعموم بلاد تهامة والسراة من الموضوعات المهمة والجديدة وتستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة. (ابن جريس).

(٢) مقابلة الوالدة صالحة إبراهيم بقرية أم القضب في (١٤١٩/٧/٥هـ). (عقيلي وزملائه).

(٣) شكراً يا خالد عقيلي وفريقك على إنجاز هذه الدراسة المختصرة، وآمل أن تتوسعوا فيها حتى تكون دراسة علمية مطولة وموثقة. (ابن جريس).

إلى آخـر بحثاً عن الماء والكلأ من أجل مواشيهم . وكان الترحال يؤدي أحياناً إلى إثارة المشـاكل بـين أصحاب الأغنام، وتعـد المواشي الغذاء الرئيسي لكثـير من الناس، حيث يستفيـدون مـن ألبانها، ولحومهـا، وجلودها للاستعمـال الخاص، أو للمتاجرة فيها، ويخـرج الرعـاة في بلاد صبيا مـن الصباح، ويعـودون في منتصف النهـار، ومنهم من يذهـب مـع أغنامه طـوال النهار . وكان هناك بعض التعاون والتآزر بـين الرعاة، فهم يخدمون بعضهم البعض أثناء مراقبة قطعانهم، وقد يتناوبون في ممارسة الرعي، وإذا حـل قحط أو مجاعات بالبلاد، فالبعض من الرعاة ينتقل مع مواشيه إلى أمكنة أخرى يتوفـر فيهـا العشب والماء. وقـد عثرنا على بعض الوثائق التي تشـير إلى أسماء بعض الرعاة في مخلاف صبيا، وأنواع مواشيهم، ولا تخلو هذه المصادر من إشارات إلى بعض المشـاكل التي كان يواجهها الرعاة خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، مثـل أسماء الأمراض التـي تفتـك بأغنامهم ومواشيهـم، والأدوات التـي يستخدمونها لعلاجهـا، كما ذكرت عقبـات أخرى كالأمراض والجفاف والقحط الذي يحل بالبـلاد وما يخلفه من ويلات على الرعاة وقطعانهم، وكذلك اللصوص الذين يعتدون على أموال الناس وسرقتها [١].

كمـا مارس أهل صبيا الصيـد البري والبحري ،ومن البري صيـد الأرانب البرية، أو الوبـر وهـو حيوان يعيش في الجبال، ويعتقد الناس أنه يشفي من مرض الربو، ويذكر لنـا أحد الـرواة طريقة صيد الوبر فيقول: " الوبر سريع جـداً وعندما يرى صياداً فإنه يتـوارى في الأحجار ويدخل جحـره بسرعة، فنأتي ونشب النار على الفوهة حتى يزعجه الدخـان، أو نصـدر أصواتـاً مزعجة عند جحره ثـم نختبئ لفترة، فيخـرج من مكانه فنصطـاده " وهنـاك صيد الورل وهو سحلية ويعتقـد الناس أن من أكل لحمها لا تضره لسعـات الأفاعي، أمـا الطيور فهي كثيرة وأهمها: الحمام، والهجـف (وهو القمري، أو الحمـام البري) ، والدرج، والكاوع وغيرها، وكانـت وسائل الصيد البنادق والمنطفة[٢]،

(١) من يدرس الحياة الاقتصادية في عموم بلاد السروات وتهامة خلال القرون الثلاثة الماضية، فإنه يجد مهنة الرعي من أهم المهن التي يمارسها معظم السكان، وذلك لوفرة المراعي، وغلبة الحياة البدوية على عموم الناس، وأيضاً الفوائد الجيدة التي يجنيها الناس من امتلاك ورعي المواشي. وقد عاصرت شيئاً من حياة الرعي والرعاة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت جميع القرى في عموم السروات وتهامة مليئة بالرعاة الذين يمارسون رعي الضأن والماعز، أما البوادي وأهل تهامة فكانوا يمتلكون الإبل والأبقار إلى جانب البهائم الأخرى . مشاهـدات الباحث خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي . (ابن جريس) . للمزيد انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ١٢١ وما بعدها. للمؤلف نفسه انظر: أبها حاضرة عسير (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ١٢٥-١٢٦ .

(٢) المنطفـة : قطعـة طويلة تصنع مـن الألياف ويكون وسطها على شكل فنجـان، يوضع فيه الحجر ثم تمسك من طرفيها ويحركها الرجل بسرعة ثم يطلق أحد طرفيها فينطلق الحجر بقوة نحو الهدف، وتعرف أيضاً باسم (المقلاع) .

وهنـاك من يستخدم العصـا والرمي بالحجـارة، أو الفخاخ، ويروي لنـا الوالد منمش مبروك: " أن مهنته الأساسية كانت صيد الغزلان، وكان ينصب لها الفخاخ عند الأودية والغـدران عندما تأتي للشرب، وكانت فخاخه حفرة مغطاة بالقش، أو حبل مدقوق على شكل حلقة، ويذكر أنه لا يمر عشرة أيام إلا ويقع فيها على الأقل غزال[١] . وكانت كثيرة في المنطقـة، واليوم انقرضت نهائياً، ما عدا بعض الوعول الجبلية الموجودة في الجبال وتتولى الحكومة حمايتها.

والصيـادون البحريـون في منطقـة صبيـا كثـيرون ،والشباك هي وسيلـة الصيد، والقوارب تصنع محلياً في الحواضر كجازان والسبخة والقوز، وكان البعض يحضر قوارب أكـبر من جـدة أو القنفذة، وعمليـات الصيد رحلات ليلية في أكـثر الأوقات، فيذهبون عنـد المغرب ولا يعـودون إلا مع الفجر ومعهم أنواع عديدة مـن الأسماك مثل: الشعور، والبياض، والقرش، والعربي، والضيرك وغيرها . ويأخذ الصياد حاجة منزله من صيده والباقي يرسله إلى السوق ليبيعه . وبعضهم يحمله في سلة ويدور به على البيوت وينادي (حـوت .. حوت) فمـن أراد خرج واشترى حاجته، وكانـت الأسماك تحفظ في المنازل في سـلال تعلق في حبل يتـدلى من سقف العشة وتملح لتحفظ أكبر وقت ممكن . وبعض الصيادين يحضرون معهم ما وجدوه من البحـر من صدف وأحجار كريمة إن وجدت، وحالياً انحصـر الصيـد البحري في القرى المجـاورة للبحر والقريبة منـه كقرية بيش والشريعـة والقـوز وساحل الجعافرة غـرب صبيا . ولم يعد في قريتنـا سوى رجل واحد يمتهن تجارة السمك لكنه لا يصيده .

٢- الزراعة :

الزراعة أساس اقتصـاد المنطقة وغالبية السكان فلاحون وعليها يعتمد الأهالي في توفير وسائل المعيشة من مأكل ومشرب وملبس سوءاً بالنقد أو المقايضة، والزراعة موضوع واسـع يدرس في مجلـدات، لكننا سنوجز الحديث في هذا البحـث فندس أنواع الأراضي وملكيتها، وطرق التعامل الزراعي، وأنماط الزراعة والري، والمحاصيل الزراعية .

وعمـوم أراضي صبيا الزراعيـة ملكيات خاصة توارثتها الأسـر بعضها عن بعض، وتختلـف مساحات الأراضي والملكيات من فرد أو أسـرة لأخرى . وقد زرت بعض الأسر في عـدد من قرى صبيا وشاهـدت عندهم بعض الحجج أو الوثائـق الخاصة التي تؤكد

(١) مقابلة شخصية مع الوالد منمش مبروك، قرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٢٩هـ) . (عقيلي وزملائه) .

ملكيتهم لأراضيهم الزراعية، ومنهم من ورثها من آبائه وأجداده، وآخرون شروها من أصحابها . والناظر في جميع أراضي مخلاف صبيا يجدها غنية بتربتها الصالحة للزراعة، وكذلك وفرة مياهها [١] . وهناك أراض عامة مشاعة تملكها القرى، أو العشائر، أو القبائل، ولها أعراف وأنظمة يعرفها ويقرها من يملكها . وهذه الأراضي المشاعة موجودة في عموم منطقة جازان . بل عند جميع سكان شبه الجزيرة العربية . وتكثر المنازعات بين أفراد العشيرة أو القرية الواحدة على الأراضي العامة أو المشاعة، ولهذا فالدولة تسعى إلى حل مشاكلها مع أصحابها، وفي حالة عدم اتفاقهم فإنها تصادرها وتصبح من أملاك الدولة [٢] .

كما يوجد في مخلاف صبيا أراض وقفية كثيرة، أوقفها أصحابها في عهود ماضية ومازالت وقفية على أبناء وحفدة من أوقفها . وأحياناً تنقرض ذرية الواقف ولم يعد له وارث، فتنتقل ملكية هذه الأراضي إلى إدارة الأوقاف في الدولة . وهذه الظاهرة تكاد تكون منتشرة في جميع بلدان الجنوب السعودي . وقد شاهدت أسراً عديدة وهم في شجار وصراع ومطالبات في المحاكم الشرعية، وبعضهم يطلب حقه من مال آبائه وأجداده، وهناك من أقاربه من يرفض إعطاءه طلبه، ويقول إن جميع الأراضي التي تطلب قسمك منها ليست للتقسيم لأنها وقفية [٣] .

وعادة من يعمل في المزارع أهلها، كالزوج ومعه زوجته وأبناؤه، إذا كانت ملكهم لوحدهم، ومن يملك أراضي زراعية وحالته ميسورة فإنه يستأجر من يعمل معه، وغالباً يكون له عدد من العبيد، ويتعاون أهل القرية في الزراعة ويظهر ذلك في موسم الحصاد أو البذر أو الحرث أو غيره. ويخبرنا أحد الرواة فيقول : "أنه يعمل في مزارعهم بعض

---

(١) هذا الكلام يا خالد وفريق العمل معه ربما كان ذلك في القرون والعقود الماضية المتأخرة، أما اليوم فبلاد صبيا وغيرها في منطقة جازان تعاني من قلة المياه وملوحة الأرض ومشاكل ظهرت مؤخراً وأثرت على حياة الزراعة والمزارعين . المصدر: هذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في منطقة جازان في بداية العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ٢١م) . (ابن جريس) .

(٢) هذا يا خالد كلام صحيح فقد شاهدت ذلك في مناطق جازان، وعسير، ونجران، والباحة، وبعض نواحي الحجاز أثناء رحلتي وتجوالي في هذه البلاد خلال الأربعين عاماً الماضية . بل وجدت بعض القرى أو العشائر في خصام دائم على بعض الأراضي المشاعة في بلادهم، ولم تحل مشكلتهم، فلجأت الدولة إلى مصادرتها، وكانوا أولى بها لأبنائهم وحفدتهم، لكن نزغات الشيطان والصراع البشري هو الذي أفقدهم الاستفادة منها . (ابن جريس) .

(٣) نعم يا خالد وفريق عمله إن هذه الظاهرة موجودة ومنتشرة في قرى وعشائر كثيرة في بلاد تهامة والسراة، وهذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في هذه البلاد خلال العقود الثلاثة الماضية . (ابن جريس) .

العبيد وفي موسم الحصاد يتعاون معهم أهل القرية والمزارع المجاورة، وأثناء الحصاد يسود جو من المرح[١]، حيث يتبادل الناس الأناشيد أو الأشعار الشعبية ومنها نشيد القناعي[٢] ومن أشعاره :

أقصد ما يشرب طلاحب ولا أطفال جنب معيا في أفضل ماطم شارب
أجيت شازم بذر عاته ولم قال مضمون ما في خدها طم شارب

ومنه أيضاً نشيد مساوي الحكمي[٣]

يا بياضية قد زربوها يعكش وقالوا البثاية زربها ما تشابك
الناس تحبك بالقضي لا معك شيء وإن كان يمانك خالية ماتت بك[٤]

وكانت الآلات المستخدمة في الزراعة من الصناعة المحلية، وهي بسيطة في تركيبتها، فمنها المحراث وهو الأساس في بذر البذور، وهو آلة خشبية تنتهي بحديدة مدببة، ومثبت عليها عصا خشبية مثقوبة لكي ينزل منها البذور وتجرها الثيران في الغالب . وتسمى الضمد، ومن يملكون ثيران وضمدهم من الميسورة أحوالهم المادية، والذين لا يملكونه يقومون باستئجاره لحرث أراضيهم . وكانت مياه الأمطار الأساس في عملية الري، وخاصة (الخريف) وهو لفظ يطلق على الأمطار التي يزرع على إثرها الذرة والقمح والدخن وتسيل الأودية والشعاب . كما عرف الري عن طريق الآبار، وكانت تستخدم الجمال أو البغال أو الثيران في جر الدلاء من الآبار، وقد حدثنا الشيخ موسى عبدالله فقال: " الذي كان يملك بئراً كان يعمل طول النهار على البئر، وفي الوقت نفسه يعمل أخوه الأصغر على الضمد، وتمرير الماء من البئر عبر قنوات تحفر في التربة إلى القطع

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ مروي جده بقرية الملحاء بتاريخ (١٤١٩/٧/١٥هـ). (عقيلي وزملائه) .
(٢) القناعي : يقال أنه شاعر من نواحي صبيا، ذاع صيتة وتناقل الناس أناشيده . (عقيلي وزملائه) .
(٣) مساوي الحكمي : شاعر من ساحل الجعافرة (قرية الجدبين) وله أناشيد ومشهور بالغزل . (عقيلي وزملائه).
(٤) اعلم يا خالد عقيلي ورفاقه أن منطقة صبيا غنية بتراثها الشعبي مثل الفنون الغنائية، والأناشيد، والأحاجي، والحكم، والأمثال، والأقوال الأدبية الجميلة . وآمل منكم أن تجمعوا مثل هذا التراث الحضاري الذي يعكس شيئاً من حضارة سكان منطقة صبيا وتاريخها وموروثها . كما آمل من أساتذة جامعة جازان وبخاصة المؤرخين والأدباء واللغويين أن يخدموا تاريخ وتراث وحضارة عموم المنطقة الجازانية فهي غنية بهذا التراث الجميل . (ابن جريس) .

المزروعة، ولم يستخدموا الأكياس البلاستيكية حتى وقتنا الحاضر، وعندما سألناه لماذا لم يستخدموا إلى الآن الري بالتنقيط مثلاً، أو الأكياس البلاستيكية لتوفروا في المياه؟ أجاب " لو فعلنا ما قلت لأصبح ثلث الأرض أخضر وثلثيها كلون الشمس، وأنا يا بني أرتاح لرؤيتي للخضرة، وأما عن الإسراف في المياه فهي من عند الله ولا يقطعها إلا الله، وإنما يرزقنا الله بهذه البهائم، وأما الناس فلم يعد فيهم ذاك الصلاح القديم "[١] .

والآن أصبح في القرية آبار ارتوازية، ويسحب الماء بالمضخات الحديثة من البئر إلى البركة، ومنها يتفرع عبر القنوات الترابية إلى القطع المزروعة، وهناك يتولى الفلاح توزيعه بين القطع بطريقة منظمة، وحينما ينزل المطر في يوم من الأيام فلا تستعمل البئر لمدة طويلة . والفلاحون لهم نظرة في النجوم ويحسبون بها موعد الأمطار فاسمع كبار السن وهم يذكرون بعض النجوم للدلالة على الأمطار ومواسمها مثل: الثريا، وسهيل، وغيرها [٢] .

وقد تعددت المحاصيل الزراعية في صبيا، ومن أهمها : القمح، والدخن، والذرة، والفجل، والبقل، والملوخية، والجرجير، والشيح، والخطور والكادي، والراديم، وشجر الفل، والعمبرود، والباذنجان والحبحب، والشمام، والبطيخ، والقشدة، والبطاطا الحلوة، والجلجلان- السمسم، والرجلة، والحنطة، والدباء، واليقطين، والخيار، والطماطم، والفلفل الحار، والكوسة، والموز "، وفي هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . ظهرت زراعة المانجو والتين، والجوافة، والسلك) وقد شجعت الحكومة على ذلك ولاسيما زراعة المانجو، وتعددت خيرات الأرض والحمد لله، أما وسائل التسميد فكانت قديماً روث الحيوانات أو حرق الأراضي، أما الآن فأضيف إليها السمادات الكيماوية .

٣- المهن الصناعية والحرف التقليدية :

لم تكن صناعة المعادن موجودة بشكل كبير في منطقة صبيا لكن توجد بعض الصناعات التي تستورد من خارج المنطقة، ويجري عليها بعض التعديلات . ومن أهم صناعتهم صناعة الجنابي، وهي إما أن تكون طويلة، وقصيرة، وصناعتها وجودتها تعتمد على نوعية المعدن

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ موسى عبد الله بقرية أم القضب بتاريخ (١٤١٩/٧/٧هـ) . (عقيلي وزملائه) .

(٢) ياخالد ورفاقه كنت أود أنكم فصلتم الدراسة في أنماط الزراعة وطرق الري في منطقة صبيا لأهمية هذا الموضوع. أما معرفة الناس قديماً بالنجوم أو الأنواء وما تدل عليه لخدمة الزراعة وبعض المهن الاقتصادية، فهذه عادات قديمة عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية وأبدعوا في معرفتها وكتب التراث مليئة بالأقوال والتفصيلات التي تصب في خدمة هذا الموضوع . (ابن جريس).

المصنوعة منه، فكلما كان ذا نوعية جيدة وقوية زاد ثمن الجنبية، ثم يضعون لها مقبض، وهو مصنوع من قرون بعض الحيوانات فإذا صنعت من قرن الغزال فهو أحسنها وأجودها، كذلك يحلى غمد الجنبية وغالباً يكون من الفضة الخالصة[١]. ومن الصناعات أيضاً الجوف، وهي نفس صناعة الجنبية إلا أن لها عطفة إلى الأسفل والعنق أو المقبض يصل إلى الصدر، وهناك صناعة السكاكين أو ما نسميه في بلادنا بالشفرة، وكانوا أيضاً يصلحون بعض الأسلحة، أو الحلي مثل القلائد والأساور وغيرها.

كما تشتهر منطقة صبيا بالصناعات الحجرية والفخارية ومازالت حتى الآن متوفرة بشكل كبير، وكل الصناعات الفخارية من الطين يخلط بالماء ثم يحرق حسب ما يريده الصانع، وحسب الحاجة .بعد ذلك يلونها ويزينها وينظفها، ومن الصناعات الفخارية صناعة **الجرة :** وهي محدودية الشكل ولها عنق ضيق دائري وتستخدم في حفظ الماء وتبريده . والبلبلة : مثل الجرة إلا أنها أكبر حجماً ولها فتحة كبيرة يحفظ بها الماء وتغطى من الأعلى [٢] **والحيسية :** مخروطية الشكل مقلوبة وهي تستخدم للأطعمة **والرجبية :** أو الشاطرة كسابقتها الجرة إلا أنها صغيرة الحجم . **والتنور:** وفيه أحجام كبيرة ومتوسطة، ويستخدم لصناعة الخبز واللحم وأطعمة أخرى . والذاهب إلى أسواق صبيا يشاهد الكثير من الأواني والأدوات الفخارية المعروضة للبيع، وتستخدم لأغراض عديدة . أما الصناعات الحجرية فهي المصنوعة من الحجارة الصلبة، ومنها الرحى، وبعض أدوات الطهي كالقدور والبرم وغيرها [٣] .

وعرف سكان صبيا دباغة الجلود وخرازتها، وجميع المواد الخام لممارسة هذه المهنة محلياً، فالجلود من الأنعام، والمواد المستخدمة للدباغة من النباتات والأشجار الموجودة في أرجاء المنطقة. وهناك الكثير من المصنوعات الجلدية مثل: بعض الألبسة، والأثاث في المنازل، وأدوات أخرى تستعمل للأطعمة والأشربة، أو الزراعة، وغيرها من الحرف المحلية [٤] .

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ علي بن أحمد فارسي بتاريخ (١٤١٩/٧/١٩هـ) بقرية شهدان . (عقيلي وزملائه) .

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ حسين علي خرمي بتاريخ (١٤١٩/٨/٢٤هـ) بقرية أم سعد. (عقيلي وزملائه) .

(٣) هناك تقارب في الصناعات الفخارية والحجرية، إلا أن صناعة الفخار أسهل في الإعداد والتشكيل، أما الصناعات الحجرية فإنها تحتاج إلى مهارة أعلى وجهد أكبر . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس لنا تاريخ الصناعات الفخارية في منطقة جازان لأهمية هذا الموضوع وممارسته بشكل كبير وبخاصة في منطقة صبيا وما حولها . (ابن جريس).

(٤) من يزور بعض المتاحف المحلية في منطقة جازان أو مناطق الجنوب السعودي فإنه يشاهد الكثير من الأدوات الجلدية، وكان القائمون على دباغتها وخرازتها من سكان هذه البلاد . (ابن جريس) .

والنسيج والخياطة من الصناعات اليدوية عند أهل صبيا، ومعظم من يمارسها من النساء، وأحياناً يتعاون الآباء والأمهات في خياطة ونسج ملابس أولادهم وبناتهم، وكان هناك من يمارسها للربح والتكسب. والصوف بأنواعه من المواد الأساسية لممارسة النسيج، ويتم الحصول عليه من أصواف الحيوانات المحلية، وهناك من يحصل عليه من الأسواق الأسبوعية . وكانت تجلب بعض الأقمشة من أسواق اليمن، أو جازان، أو عسير، أو القنفذة، أو الحجاز، ويقوم بعض الخياطين المهرة بتفصيلها وخياطتها، وكانت تلك الأقمشة تصبغ بالنيلة وغيرها من الأصباغ قبل خياطتها، وأكثر أنواع الأقمشة أو الملابس التي تصبغ هي ألبسة النساء صغاراً وكباراً . كما كان يصنع أو ينسج أدوات عديدة من سعف النخل أو ورق الدوم، ومن تلك المصنوعات: الزنابيل، والبسط، والسلال، والحصائر التي توضع على ظهور الحمير والجمال أثناء نقل الأغراض والأمتعة وغيرها . وكانت كل أسرة تحرص أشد الحرص على تربية بناتها في خدمة البيت وخياطة أو نسج بعض الأدوات الضرورية للاستخدام المنزلي . وتذكر لنا الوالدة (بخيته أمعييد) قصة تعرضت لها في صغرها، فتقول : " أن والدها جاء وهي تلعب الزقطة مع بنات في سنها، وهي لا تتجاوز السادسة من عمرها، فقام بضربها برجله وجرها من ضفيرتها إلى البيت حتى ألقاها إلى جوار أمها وهي تصنع زنبيلاً أو ما شابهه وقال لها : (علمي بنتك أفضل من اللعب وإلا فلن يتزوجها أحد). ثم قالت " وفي يوم خطبتها قال الخطيب: أريدها عاملة في بيتها فلن أشتري شيئاً من خارج البيت، فقلت الحمد لله أن أدرك والدي أهمية العمل في شغل البيت "

٤ـ التجارة :

كانت الطرق قديماً بدائية، وهناك طريق يخرج من جازان إلى صبيا إلى بيش نحو البرك والقنفذة حتى مكة المكرمة . وقد ذكر هذا الطريق الكثير من كتب الجغرافيا والرحلات القديمة[1] . أما الطرق داخل منظمة صبيا فكانت قبل العصر الحديث بدائية، وغالباً تسلكها الدواب . وفي النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) شقت بعض الطرق، وبدأت السيارات تصل من الحجاز إلى جازان، وكانت طريق مكة جازان أهم الطرق الحديثة في تهامة، وتعبر بلاد صبيا وتأتي على بعض قراها مثل السلامة،

(١) من يبحث في تلك الكتب فإنه سوف يجد ذكراً لا بأس به عن محطات الطرق التجارية التي يسلكها الحجاج والمسافرون الذين يأتون من اليمن أو عموم منطقة جازان ويذهبون إلى بيت الله الحرام . وهناك أيضاً بعض الدراسات الحديثة التي صدرت في هذا الباب . (ابن جريس) .

والعزامة، والمحلة، وأبو القعائد، وقد ازدهرت التجارة عبر هذا الطريق وتطور عمرانها، وأصبح هذا الطريق آمناً ممهداً مسفلتاً حيوياً تمر به الناقلات الكبيرة والصغيرة .

وكان الناس في منطقة صبيا يذهبون بمنتجاتهم ومحصولاتهم يوم السبت إلى سوق بيش الأسبوعي، وإلى سوق صبيا يوم الثلاثاء، كما كان يوجد سوقاً صغيراً في الملحاء يشترى منه الناس حاجاتهم المعيشية اليومية[١]. وحالياً توجد في بلاد صبيا أسواق عديدة على طول الأسبوع ومكتظة الحركة، منها ما يقع على الطريق التجاري مكة- جازان مثل: سوق السلامة، أو سوق العرضة، وسوق المحلة، وسوق أبي القعائد بالإضافة إلى الأسواق الداخلية كسوق العشة، وسوق الجارة، وسوق الجمالة، وسوق أبي السلع[٢].

وكانت عملية الصادرات والواردات قليلة، وبخاصة في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن أهم السلع التي يصدرها أهل صبيا حبوب الذرة بأنواعها (الحمرية، والزيدية، والبيضاء)، ولا تخلو المنطقة من بعض المواشي التي تصدر إلى أسواق المنطقة المحلية، أو إلى أسواق جازان، والبرك والقنفذة . وقد نشطت التجارة في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وبخاصة بعد فتح الطريق الرئيسي الذي يخرج من مكة إلى جازان ومدن اليمن الساحلية الكبرى مثل الحديدة وعدن . وكان يتم استيراد الكثير من البضائع من أسواق اليمن مثل: البن، وبعض الأسلحة، والأطعمة. ويستورد من مدن الحجاز الألبسة، والأقمشة، أو بعض الأدوات الزراعية والحرف والصناعات المحلية الأخرى[٣] .

وكانت الأسعار في بداية القرن الرابع عشر الهجري بسيطة فالربع ريال، والنصف، أو الريال يقتضي به الرجل ما يشاء من لوازم المنزل، ويسجل لنا الوالد منصور خويري قوله: " سوقت إلى السوق قبل (٦٠) سنة وعمري تقريباً (١٢) اثني عشر عاماً، وكان يوجد معي ريال واحد فرنسي فأخذت كيلو سمك بقرش، وأخذت برتقال وتفاح وعنب نصف كيلو من كل صنف، وكلها بربع ريال، وأخذت خضروات بما فيها طماطم وملوخية وبقل بقرشين، وأخذت فل وكاذي، وكلها بريال إلا ربع " . وهناك حادثة طريفة عن

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد البنة بتاريخ (١٤١٩/٩/١٨هـ) بقرية الملحاء . (عقيلي وزملائه) .

(٢) تم تدوين هذه المعلومات عام (١٤١٩هـ)، واليوم تطورت صبيا وأصبح فيها عشرات الأسواق اليومية الصغيرة والكبيرة، بل هناك أسواق حديثة، وهي مجمعات كبيرة تحتوي على العديد من الأسواق العالمية والمحلية . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ التجارة في صبيا يا عقيلي ورفاقه لا يذكر في سطور محدودة، وإنما هو موضوع كبير ويوجد الكثير من الوثائق والرواة الذين عاصروا صوراً من الحياة التجارية في صبيا وعموم منطقة جازان أو تهامة الممتدة من عدن إلى مكة . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في مئات الصفحات، وآمل أن نرى أحد الباحثين الجازانيين الجادين فيدرس هذا العنوان دراسة علمية موثقة . (ابن جريس) .

الأسعـار، ذكرهـا أيضاً الوالد منصور فقال: " تسوق أخـي الذي أكبر مني (رحمة الله عليـه) وهو علي بن ناصر قبل عشر سنوات، وأخـذ العديد من الأغراض، وعندما جاء يحاسب أعطى صاحب المحل ريال وقال له أعطني الباقي يحسب نفسه كزمان، فضحك صاحب المحل وأعطاه الأغراض بلا ثمن، والريال كان لا يجده الشخص إلا بشق الأنفس، كان يعمل لمدة يوم أو يومين حتى يحصل على ريال " [١].

رابعاً: آراء وتعليقات وتوصيات [٢] .

نجد أن هؤلاء الأبناء الطلاب اجتهدوا في جمع بعض المواد العلمية عن بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في منطقة صبيا . وذكرت في مقدمة هذا القسم أن هذه الأعمال الطلابية يشوبها الكثير من النقص والقصور، لكنه يحمد لهم أنهم طرقوا أبواباً جديدة في معلوماتها . وكنت أتمنى منهم أن يضيفوا إلى دراساتهم بعض المناهج التي تقوم على التحليـل والنقد والمقارنة وهـم يتحدثون عن حاضرة مهمة مـن حواضر منطقة جازان، وهناك مدنٍ وقرى وبلدان لا تقل أهميتها ومكانتها التاريخية عن صبيا . وندرج في النقاط التالية شيئاً من الجوانب التي يجب الإسهاب والتفصيل فيها:

١. نجـد في التاريـخ الاقتصادي أن صبيـا لم تكن في معزل عـن غيرها من مدن وحواضر جازان وتهامة وبعض السروات . وهناك الكثير من المصادر والمراجع والوثائـق التـي تذكـر دور أهل صبيـا في مجـالات الزراعة والحـرف اليدوية والتجارة، وكان لفيف مـن التجار يترددون على أسواق صبيا فيحملون حبوبها ومنتجاتها الزراعية والحيوانية إلى موانٍ جازان، والبرك، والقنفذة، ومحايل عسير، ورجال ألمع وأبها، والحديدة وعدن وغيرها [٣] .

٢. لم يكـن النشـاط الاقتصادي مقصـوراً على حاضرة صبيـا، وإنما كانت مهن الرعي والزراعة وأيضاً التجارة تمارس في أرياف وبوادي وقرى صبيا بمفهومها

---

(١) مقابلـة شخصية مـع الشيخ منصور بن ناصر خويري بتاريخ (١٤١٩/٨/٤هـ) بقرية الخوارية. (عقيلي وزملائه) . وأقـول يـا خالد ورفاقه إن ما دونتموه في هـذا البحث قبل عشرين عاماً يوم كنتم علـى مقاعد الدراسة في السنة الرابعة من درجة البكالوريوس عمل لا بأس به، ولا يخلو من الهنات والقصور، لكنه يحتوي على الكثير من المعلومات الجديـدة عـن تاريخ بلاد صبيا الحضاري . وأرجـو منكم أن تعيدوا النظر في هذا العمـل وتتعاونوا في دراسته وإن فعلتم ذلك فإنكم سوف تخدمون بلادكم وأهلكم، والله من وراء القصد (ابن جريس) .

(٢) هذا المحور من إعداد صاحب كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس) .

(٣) اطلعـت على عشرات الوثائق التـي تعود إلى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وفيهـا أسماء الكثير من السلع التـي كانـت تُصدر من صبيا إلى بلدان عديدة في تهامة والسراة واليمن والحجاز . ويوجد في هذه المصادر أسمـاء بعض التجار الذين كانـوا يقومون بنقل تلك البضائع، ومقدار الأجـور والأسعار التي كانت معروفة آنذاك . (ابن جريس) .

الواسع الذي يمتد من أبي عريش، وبلاد فيفا، وبني مالك، ويشمل أيضاً وادي بيش وسهوله [١]، وللأسف أن هذه البحوث المدرجة في هذا القسم لم تدرس هذا التمدد والانكماش الحضاري خلال القرن الهجري الماضي.

٣. الحديث عن الأسواق الأسبوعية في صبيا وما جاورها، والقبائل التي كانت تقوم على حماية تلك الأسواق، والمعوقات التي جرت لبعض الأسواق والدور الإداري والثقافي الذي لعبته تلك الأسواق . كل هذا المحاور لم تدرس وهي جديرة بالبحث والتحليل وهناك الكثير من الوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع، ومازال هناك أعلام مارسوا التجارة في تلك الأسواق وهم على قيد الحياة حتى الآن [٢] .

٤. هناك إشارات محدودة عن الطرق التجارية، وأقول إن بلاد صبيا أرض ساحلية وسهلية، والطرق التي تربط بين أجزائها كثيرة ومتفاوتة في الطول والعرض . وأيضاً الطرق التي تربطها مع أجزاء المنطقة مثل: مدن جازان، وأبو عريش، وبيش، والدرب، ونواحي أخرى عديدة في السهول والهضاب والمرتفعات في عموم الأراضي الجازانية . وقد التقيت ببعض أعيان ووجهاء حاضرة صبيا وذكروا أن المواصلات بين مدينة صبيا وأجزاء المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت نشطة، وكانت معظم وسائل النقل الحمير، ثم بدأت السيارات تصل إلى سهول صبيا منذ ستينيات وسبعينيات القرن الهجري الماضي [٣] .

٥. نجد فرسان هذه البحوث المدرجة في هذا القسم حصروا أنفسهم على معلومات اقتصادية مختصرة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما ذكروه أيضاً لا

---

(١) من يقرأ التاريخ السياسي والإداري والعسكري لمنطقة صبيا خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه كان في مد وجزر، وقد يمتد نفوذ السلطة القائمة في حاضرة صبيا على معظم منطقة جازان، وربما مناطق أخرى عديدة في تهامة عسير، وأحياناً يتقلص هذا النفوذ على مدينة صبيا فقط . وهناك العديد من البحوث والكتب والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ صبيا السياسي والعسكري خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) هذا ما عرفته أثناء زيارتي لمنطقة جازان وتجوالي في أرجائها عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الجزء الرابع)، ص ٢٢٧-٣٠٢ . (ابن جريس).

(٣) تاريخ المواصلات في جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة عملية . (ابن جريس) .

يخلو من السطحية، وجميعهم عاصروا التطور والتنمية الحضارية التي وصلت إلى صبيا خلال العقدين الأولين من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكان عليهم أن يشيروا إلى ذلك في متن البحث أو في حواشيه، حتى يطلعوا القارئ على أحوال البلاد كيف كانت وكيف أصبحت مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [١] .

٦. تمت الإشارة إلى صناعات وحرف يدوية ناقصة ومحدودة . وكان الأوائل يعتمدون على أنفسهم في معظم حرفهم . وكل واحد في الأسرة يقوم بعمل يعود على الجميع بالنفع والفائدة . فالنساء يمارسن المهن المنزلية مثل الطبخ، والغسيل، وتنظيف المنازل وصباغتها أو تزويقها إلى جانب أعمال الخياطة، والخرازة، وتوجيه البنات الصغيرات وتربيتهن على خدمات المنزل، وحضانة الأطفال ورعايتهم . والرجال أو الشباب يمارسون جلب الحطب، والبناء، ونقل الأغراض من مكان لآخر . وجميع أفراد الأسرة أو الأسر أو القرية يتعاونون في حراثة مزارعهم وحصاد محاصيلها، وحفر الآبار، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، ونصرة المظلوم [٢] .

٧. الغالب على منطقة صبيا أنها أرض سهلة وزراعية، وكنت آمل من الباحثين أن يفصلوا الحديث عن أنواع الأراضي ومسميات المزارع وخدمتها، وعلاقة القوى السياسية في منطقة صبيا بأصحاب الأراضي من حيث مساعدتهم وحماية أراضيهم وجباية الزكاة أو الضرائب، والأيدي العاملة، وأجورهم، وانتقال الأراضي بين الأفراد والأسر، وعادات الناس وتقاليدهم بخصوص مزارعهم وأراضيهم العامة والسكنية في القرية أو القبيلة الواحدة . وأدوار شيوخ القبائل وأعيانها في حل المشاكل الخاصة بالمزارعين وأراضيهم [٣] .

---

(١) ما ذكره هؤلاء الطلاب ربما يفتح الباب لمؤرخين وباحثين في المستقبل فيدرسون التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في صبيا منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر. وأقول إن تاريخ التطور والتنمية التي تمر بها محافظة صبيا منذ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى الآن جدير بالدراسة في عدد من البحوث الأكاديمية الموثقة . (ابن جريس) .

(٢) تلاشت الكثير من هذه الحرف، وحل محلها عادات وحرف جديدة مثل: العمل في الوظائف الحكومية والأهلية، والانخراط في أعمال صناعية واقتصادية حديثة . ومقارنة حياة الناس قديماً وحديثاً موضوع جديد يستحق البحث والتوثيق. (ابن جريس).

(٣) منطقة صبيا وعموم جازان أراض زراعية جيدة وتستحق أن تدرس تاريخياً وحضارياً مع توضيح دور الزراعة في حياة الناس العامة والخاصة . (ابن جريس) .

٨. الحياة الاجتماعية في صبيا مجال واسع، والباحثون فقط عرجوا على شذرات قليلة من تاريخ الناس الاجتماعي، وكنت أتمنى أن أجد دراسة تفصيلية توضح طبقات المجتمع، وأصولهم، وعلاقاتهم ببعضهم في شتى المجالات، والأسرة وهي عماد المجتمع من حيث تكوينها، وتعاونها، وترابطها، والأدوار التي تقوم بها في مجتمع الفخذ أو القرية أو العشيرة، وأيضاً التقدير والاحترام والرحمة بين أفراد كل أسرة . وهناك بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة في هذا الجانب، أيضاً الوثائق والرواة المعاصرون يعدون من المصادر الرئيسية في تدوين تاريخ دقيق وواضح للأسرة في صبيا بشكل خاص وعموم منطقة تهامة بشكل عام .

والعمارة، واللباس والزينة، والطعام والشراب موضوعات حضارية مهمة تستحق البحث والتوثيق، ومن يدرسها دراسة علمية موثقة فإنه سوف يطلعنا على صور من تاريخ وحضارة سكان صبيا وما جاورها. أما العادات، وقد ذكر هؤلاء الطلاب شيئاً منها، لكنها لا تعكس لنا تفصيلات دقيقة عن كل عرف أو تقليد أو عادة على مستوى الفرد، أو الجماعة، أو القرية، أو العشيرة، أو القبيلة . وعلاقة الرجال بالنساء، والصغار بالكبار، وأفراد الأسرة الواحدة مع أفراد الأسر أو القرية .

وإذا حاولنا معرفة الحياة الثقافية والعلمية واللغوية في البلاد فمازالت هذه المحاور غائبة، وهي موضوعات مهمة في حياة الناس، ولها تأثيرات سلبية وإيجابية وتستحق البحث والتوثيق . وأيضاً المفردات والاصطلاحات اللغوية، واللهجات التي يستخدمها السكان، والفنون والأغاني، والأهازيج والأمثال، والأشعار، والحكم ميادين مهمة لم تنل حقها من البحث والدراسة [1] .

والطب والتطبيب من الموضوعات الجديدة والمهمة في بلاد صبيا أو منطقة جازان، وإذا عدنا إلى القرون الماضية الهجرية، وجدنا الحياة الصحية متواضعة، وهناك عشرات الأمراض التي تصيب الإنسان، والحيوان، والنبات، كما عرف الناس بعض المعارف والتقاليد البدائية التي يمارسها أهل البلاد من أجل مواجهة المشاكل الصحية. والكي من أشهر الطرق لعلاج العديد من الأمراض، كما سخروا بعض الأشجار أو المواد

(١) إن منطقة جازان بشكل عام، وحاضرة صبيا على وجه الخصوص تحتوي على كم كبير من الثقافة والمعارف العامة على مستوى علية الناس وعامتهم، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عشرات البحوث وآمل من جامعة جازان، ومن أقسامها الأكاديمية أن تلتفت إلى هذه المجالات المعرفية فتدرسها وتوثقها حتى يطلع عليها أجيال الحاضر والمستقبل . (ابن جريس) .

المحليــة في معالجــة بعض الأوبئة، وأحيانــاً تنجح محاولاتهم، وأخــرى تفشل [١] ، ومنذ النصــف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) بــدأ الطب الحديث يصل إلى أرض صبيا، ثم تطور حتى صار هناك الكثير من المراكز الطبية الحديثة [٢] .

(*) **وخلاصــة القــول :** إننــي آمل من طلابي الكرام الــواردة أسماؤهم في هذا القسم، أو من يطلع عليه من أبنائي وطلابي الآخرين أن يسخروا جهودهم وعقولهم في حفظ موروث بلادهم، وهذا أمر واجب علينا نحن معاشر الدارسين والباحثين، وحفظ الــتراث هو جزء من حفظ الكيان والهوية، ولا تخلو أي ناحية من نواحي تهامة والسراة إلا ولها وأهلها تاريخ وعراقة قديمة وحديثة . ونحن أبناء هذه البلاد يجب علينا البحث ثم الحفظ والتوثيق لهذا الإرث الحضاري . وأبناؤنا وحفدتنا قد يلومونا على تفريطنا في تراثنا وتاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا .

كما أن المؤسسات الحكومية، والتعليمية، والفكرية، والثقافية، تتحمل الجزء الأكبر مــن هذه المسؤولية فالواجــب عليها أن توجه وتدعم وتساعــد وتخطط وتعمل على ربط الماضــي بالحاضر، وذلك لن يتم إلا بالرجوع إلى تركتنا العلمية والحضارية والتاريخية والأدبية المتمثلة في تراث الأجيال الماضية وما خلفوه لنا من موروث حضاري .

أيضــاً أحمِّــل الباحثين والمؤرخين وأربــاب القلم الغيورين الحياديــين المنصفين أن يقدمــوا لأجيالهم ما يقدرون عليه مــن حفظ تاريخ وتراث ومآثر الأوائل، وهي وأيم الله كثــيرة، ومــازال بعضها ماثل للعيان في أماكنهم الاستيطانيــة، وما وصلنا من أخبارهم ورواياتهــم ومناشطهــم السياسيــة، والحربيــة، والاجتماعية، والاقتصاديــة، والعلمية والفكريــة والثقافيــة . وأرجو أن تجد هذه التوصيات والنــداءات من يستوعبها ويترجم بعضها إلى واقع ملموس ينتقل إلى أجيالنا المستقبلية . (والله من وراء القصد) .

---

(١) كان الناس قديماً يموتون من أمراض فتاكة مثل: الملاريا (الحمى) ، والجدري، والطاعون، والجرب، والجذام، والفقر، والجوع، والقحط . وقد التقيت ببعض الرجال في مناطق عديدة من السروات وتهامة فحدثوني عن أمراض القرن (١٤هـ/٢٠م) التي كانت تفتك أحياناً بجميع أفراد الأسرة أو الأسر في القرية أو القرى، ولم يكن عندهم أي حيلة لمواجهة تلك الآفات والأمراض بسبب العوز والفاقة والجهل الذي كانوا يعيشونه . (ابن جريس).

(٢) تاريخ الطب والتطبيب في عموم تهامة خلال القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة . (ابن جريس) .